حجية التوراة

الدكتور أحمد الحوفي

مؤسسة الخليج العربي
ARABIAN GULF EST.

الطبعة الأولى
١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م

مؤسسة الخليج العربي
ARABIAN GULF EST.

١٩٥ شارع ٢٦ يوليو - القاهرة
ت ٣٤٧٢١٨٣ - ٣٤٧٢٢٠٦
تلكس ٢٣١٦٢

أكاذيب اليهـــود

تمهيـــد

نؤمن نحن المسلمين بأن الله سبحانه وتعالى بعث رسلا ، وأنزل عليهم كتباً ، ونؤمن بأنه بعث موسى عليه السلام ، وأنزل عليه التوراة ، كما نص القرآن الكريم .

لكن اليهود حرفوا فى التوراة ، وبدلوا وزادوا ، ونقصوا ، فصارت التوراة المطبوعة المتداولة غير التى أنزلها الله تعالى :

وإذا كانت هذه التوراة محرفة مفتراة على الله ، فإن الأسفار الملحقة بها التى تؤلف معها مايسمى بالعهد القديم مكذوبة أيضاً .

فمـا التـــوراة ؟

وما الأسفار الملحقة بها ؟

(١)

أما التوراة فهى كتب موسى عليه السلام ، وهى الأسفار الخمسة المعزوة إليه ، التى يجمعها سفر التكوين ، وسفر الخروج ، وسفر التثنية ، وسفر اللاويين ، وسفر العدد[١] .

---

(١) أهم ما فى سفر التكوين تاريخ العالم منذ الخليقة إلى أن استقر أولاد يعقوب بمصر . وأهم ما فى سفر الخروج تاريخ بنى يعقوب -إسرائيل- فى مصر وخروجهم منها =

وأما الأسفار الملحقة بها فهى ثلاثة أقسام :

القسم الأول : هو الأسفار التاريخية وهى اثنى عشر سفرا ، تقص تاريخ بنى إسرائيل منذ استولوا على بلاد كنعان ، واستقروا بفلسطين ، وتتحدث عن تاريخ قضاتهم وملوكهم وأحداثهم[١] .

والقسم الثانى : هو أسفار الأناشيد أو الأسفار الشعرية ، وهى خمسة مصبوغة بالشعر الدينى[٢] .

والقسم الثالث : أسفار الأنبياء وهى سبعة عشر سفرا يقص كل منها تاريخ نبى من أنبياء بنى إسرائيل بعد موسى وهارون عليهما السلام[٣] .

وهذا المجموع هو الذى يطلقون عليه العهد القديم .

= مع موسى وحياتهم فى سيناء أربعين سنة ، وبعض أحكام شرعية . وأهم ما فى سفر التثنية أحكام الحرب والمعاملات والعقوبات وأشباهها . وأهم ما فى سفر اللاويين العبادات والأضاحى والقرابين والمحرم من الحيوانات والطيور . وأهم ما فى سفر العدد إحصاء القبائل والجيوش والأموال وبعض المعاملات والعبادات .

(١) هى سفر يشوع وسفران حنا وسفر راعوت وسفران لصمويل وسفران لميخائيل وسفران لأحبار الأيام وسفر عزرا وسفر نحميا وسفر استير .

(٢) هى سفر أيوب ومزامير داود وأمثال سليمان وسفر الجامعة ونشيد الإنشاد لسليمان .

(٣) هى أسفار : أشعياء وأرمياء ومراثى أرمياء وسفر حزقيال ودانيال وهوشع ويوئيل وعاموس وعوبديا ويونان وميخا وناحوم وحبقوق وصفنيا وحجى وزكريا وملاخى .

على أن لليهود أسفاراً أخرى خفية لم يضموها إلى العهد القديم ، بعضها غير مقدس وغير معتمد فى نظرهم ، وبعضها مقدس ومعتمد ، لأنهم يدينون بأنه من عند الله ، ولكن أحبارهم رأوا أن يخفوها فى الهيكل ، وألا يطلعوا الجمهور عليها وألا يضموها إلى العهد القديم[١] .

والأسفار المنزلة على موسى هى المقصودة بقوله تعالى : ﴿ يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيراً مما كنتم تخفون من الكتاب ، ويعفو عن كثير . قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين ﴾[٢] وبقوله سبحانه : ﴿ قل من أنزل الكتاب الذى جاء به موسى نورا وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيراً ﴾[٣] وبقوله جل وعلا : ﴿ إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس فى الكتاب ، أولئك يلعنهم الله ، ويلعنهم اللاعنون ﴾[٤] .

(٢)

ولقد تبين لكثير من الباحثين أن الأسفار المنسوبة إلى موسى عليه السلام ألفت بعده بزمان طويل ، إذ كان موسى فى القرن الرابع عشر

---

(١) مقدمة ابن خلدون ٥٩٣/٢ والأسفار المقدسة فى الأديان السابقة للإسلام ، الدكتور على عبد الواحد وافى .

(٢) سورة : المائدة ١٥ .

(٣) سورة : الأنعام ٩١ .

(٤) سورة : البقرة ١٥٩ .

أو الثالث عشر قبل الميلاد ، على حين أن سفرى التكوين والخروج ألفا حوالى القرن التاسع قبل الميلاد ، وأن سفر التثنية ألف فى أواخر القرن السابع قبل الميلاد ، وأن سفرى العدد واللاويين كتبا فى القرنين الخامس والرابع قبل الميلاد ، أى بعد أن أغار بختنصر ملك بابل على فلسطين فى سنتى ٥٩٦ و ٥٨٧ قبل الميلاد ، وقضى على ملك بنى إسرائيل ، وأسر منهم عدداً كبيراً نقلهم إلى بابل ، فقضوا هناك خمسين سنة إلى أن تغلب قورش ملك الفرس على البابليين سنة ٥٣٨ قبل الميلاد ، وأطلق سراح اليهود ، فعاد كثير منهم إلى فلسطين .

وهؤلاء الباحثون يعتمدون فيما قرروه على ملاحظاتهم للغات والأساليب التى دونت بها هذه الأسفار ، وعلى دراستهم للأحكام والتشريع والموضوعات التى بها ، وعلى الصلات التى بينها وبين البيئات الاجتماعية والسياسية التى عاش فيها اليهود ، ويستنبطون من دراساتهم أن الأسفار المنسوبة إلى موسى عليه السلام كتبها اليهود بأقلامهم متأثرين بأحوالهم وأقطارهم وبيئاتهم ونظمهم .

ويرجح هؤلاء الباحثون أن الأسفار الأخرى غير المنسوبة إلى موسى قد ألف بعضها فيما بين القرن التاسع وأوئل السادس قبل الميلاد ، وألف بعضها فيما بين القرن السادس وأواخر القرن الرابع قبل الميلاد ، ولهذا جاءت مثقلة بالمتناقضات[1] .

---

(١) إظهار الحق لرحمه الله ابن خليل الهندى وبه تفصيلات ونقول كثيرة جداً طبع فى مصر سنة ١٣٠٩هـ و ١٣٨٤هـ (١٩٦٤م) والأسفار المقدسة ١٨ للدكتور على عبد الواحد وافى

قال آدم كلارك[١] : قانون اليهود نوعان : مكتوب وهو التوراة ، وغير مكتوب وهو الروايات اللسانية التى وصلت إليهم بطريق المشايخ .

واليهود يدعون أن الله أنزل على موسى النوعين بجبل الطور ، فوصل إليهم أحدهما مكتوباً ، ووصل الثانى برواية المشايخ جيلاً بعد جيل .

ولهذا يعتقدون أن النوعين بوحى من الله ، وأن الإيمان بهما واجب ، لأنهما متساويان فى المرتبة ، بل يرجحون النوع الثانى ، ويقولون أن المكتوب ناقص مغلق فى كثير من المواضع .

ولا يمكن أن يكتمل إيمان المرء بغير الاعتقاد فى الرواية الشفهية ، لأنها واضحة وكاملة وشارحة للقانون المكتوب ومكملة له .

وهم يرفضون القانون المكتوب إذا خالف الروايات الشفهية .

وقد اشتهر بينهم أن العهد المأخوذ على بنى إسرائيل لم يكن متعلقاً بالقانون المكتوب ، بل كان متعلقاً بهذه الروايات الشفهية .

وفى كتبهم أن ألفاظ المشايخ أحب إليهم من ألفاظ التوراة ، وأن ألفاظ التوراة متفاوتة فى قيمتها ، فبعضها جيد ، وبعضها ردىء أما ألفاظ المشايخ فجيدة كلها ، وأجود من كلمات الأنبياء .

---

(١) فى شرح ديباجة كتاب (عزرا) المجلد الثانى من تفسيره المطبوع سنة ١٨٥١م .

وبعد أن فصل آدم كلارك المقال فى هذا قال إن موسى أعطى بنى إسرائيل ثلاثة عشرة نسخة من القانون المكتوب بيده ، وأعطى بنى لاوى نسخة أخرى ، وقرأ القانون غير المكتوب على يوشع ، فلما مات موسى ترك هذه الروايات إلى المشايخ ، وهم الذين نقلوها إلى الأنبياء ، فانتقلت من نبى إلى نبى ، حتى انتهت إلى شمعون المعاصر لمولد المسيح ، ثم صارت إلى يهوذا المقدس الذى جمعها فى كتاب سماه مشنا .

وهذا الكتاب ذاع بين اليهود ، وعكفوا عليه دراسة وتعليما ، وكتب عليه علماؤهم الكبار شرحين : أحدهما فى القرن الثالث بعد الميلاد بادر شليم ، والآخر فى بداية القرن الخامس الميلادى فى بابل ، واسم كل من هذين الشرحين (كمرا) أى الكمال ، وإذا اجتمع المتن والشرح سموا المجموع طالموت أورشليم أو طالموت بابل .

وذكر باحث آخر هو (هورن)[1] توضيحاً لا يخرج عن هذا الذى ذكره آدم كلارك .

والذى نستنبطه من هذين الرأيين :

١ — أن اليهود يثقون بالروايات اللسانية أعظم من ثقتهم بالتوراة ، وأحيانا يسوون بين الاثنين .

---

(١) فى تفسير المطبوع سنة ١٨٣٣م المجلد الثانى الباب السابع من الحصة الأولى .

٢ — أن هذه الروايات اللسانية جمعها يهوذا فى آخر القرن الثانى للميلاد بعد أن مضى عليها متداولة شفاها ألف سنة وسبع مئة سنة ، نزلت باليهود فى خلالها نكبات عدة من بختنصر وأنيتوكس وطيطس وغيرهم ، ففقدت الكتب ، واستحال التواتر .

٣ — وهذه الروايات اللسانية جرت فى كثير من مراحلها برواية فرد واحد ، مثل رواية كمائيل الأول وكمائيل الثانى وشمعون الثانى وشمعون الثالث .

٤ — الشرح البابلى كتب فى القرن السادس بعد الميلاد ، ومعنى هذا أن رواياته اعتمدت على المشافهة أكثر من ألفى سنة .

فلم يبق شك بعد هذا فى أن التوراة والأسفار الأخرى وشروح هذه وتلك موضوعة مفتراة ، يبرأ من أكاذيبها على الله وعلى رسله كل ذى دين وكل ذى عقل سليم .

(٣)

أما نحن المسلمين فنؤمن بأن فى التوراة التى نقرأها اليوم وفى الأسفار التى بين أيدينا وأيدى اليهود افتراء على الله تعالى وعلى رسله ، وأنها مغايرة للتوراة الحقيقية التى أنزلها الله على موسى ، لأننا نؤمن بما جاء فى القرآن الكريم من وصف لليهود بأنهم افتروا على الله ، وخلطوا الحق بالباطل ، وحرفوا كلام الله ، وأخفوا بعضه .

١ - قال تعالى : ﴿فويلٌ للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ، ثم يقولون : هذا من عند الله ، ليشتروا به ثمناً قليلا ، فويلٌ لهم مما كتبت أيديهم ، وويل لهم مما يكسبون﴾(١) .

٢ - وقال سبحانه : ﴿وإن منهم لفريقاً يَلْوُون ألسنتهم بالكتاب ، لتَحْسَبوه من الكتاب ، وما هو من الكتاب ، ويقولون : هو من عند الله ، وما هو من عند الله ، ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون﴾(٢) .

٣ - وقال تعالى : ﴿كل الطعام كان حِلاً لبنى إسرائيل إلا ما حَرَّم إسرائيل على نفسه من قبل أن تُنَزَّل التوراة ، قل فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين . فمن افترى على الله الكذب من بعد ذلك فأولئك هم الظالمون﴾(٣) .

٤ - وقال سبحانه : ﴿يُحَرِّفون الكَلِمَ عن مواضعه ، ونَسُوا حظًّا مما ذكِّروا به﴾(٤) .

٥ - وقال تعالى : ﴿من الذين هادوا يُحَرِّفون الكلمَ عن مواضعه ، ويقولون : سمعنا وعصينا﴾(٥) .

---

(١) سورة : البقرة ٧٨ - ٧٩ .
(٢) سورة : آل عمران ٧٨ .
(٣) سورة : آل عمران ٩٣ - ٩٤ .
(٤) سورة : المائدة ١٣ .
(٥) سورة : النساء ٤٦ .

٦ - وقال سبحانه : ﴿أفتطمعون أن يؤمنوا لكم ، وقد كان فريقٌ منهم يسمعون كلام الله ، ثم يحرِّفونه من بَعْدِ ما عَقَلوه وهم يعلمون﴾(١) .

٧ - وقال تعالى : ﴿وما قَدَروا الله حقَّ قدره إذ قالوا : ما أنزل الله على بَشَرٍ من شيء ، قل : من أنزل الكتابَ الذى جاء به موسى نورا وهدىً للناس ، تجعلونه قراطيس تُبْدونها وتخفون كثيرا ، وعُلِّمتم ما لم تَعْلَموا أنتم ولا آباؤكم ، قل : الله ، ثم ذَرْهم فى خَوْضهم يلعبون﴾(٢) .

٨ - وقال سبحانه : ﴿ياأهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يُبَيِّن لكم كثيراً مما كنتم تُخْفون من الكتاب ، ويعفو عن كثير . قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين﴾(٣) .

٩ - وقال تعالى : ﴿ياأهل الكتاب لم تَلْبسون الحق بالباطل ، وتكتمون الحق وأنتم تعلمون﴾(٤) .

١٠ - وقال عز وجل : ﴿إن هذا القرآن يَقُصُّ على بنى إسرائيل أكثرَ الذى هم فيه يختلفون﴾(٥) .

---

(١) سورة : البقرة ٧٥ .
(٢) سورة : الأنعام ٩١ .
(٣) سورة : المائدة ١٥ .
(٤) سورة : آل عمران ٧١ .
(٥) سورة : النمل ٧٦ .

لكن غير المسلم محتاج إلى تدليل وتفصيل وتعليل ، ليطمئن أن هذه التوراة والأسفار الملحقة بها مفتراة على الله تعالى .

وقد يحتاج المسلم إلى دراسة كاشفة منصفة تبين له ألوانا من مفتريات اليهود على الله وعلى رسله..

ولست أعتمد فى هذه الدراسة على ما شهد به العلماء الثقاة من غير المسلمين ، وفيهم المسيحى واليهودى(١) ، بل أعتمد على العهد القديم نفسه ، لأستدل من بعض نصوصه على أنها وليدة الأرض وليست من وحى السماء .

وسأقتصر على ثلاثة موضوعات هى : أكاذيبهم على الله ، وأكاذيبهم على أنبيائه ، وبعض خرافاتهم .

□○□○□

(١) فى كتاب إظهار الحق لرحمه الله الهندى نقول كثيرة .

(أولاً)
أكاذيبهم على الله

يتبين لدارس التوراة المفتراة أنها صورت الله سبحانه وتعالى صوراً لاتليق بالألوهية ، ووصفته بصفات لايرتضيها مؤمن ، ولا يطمئن إليها غافل ليس له دين .

١ - التجسيد :

ففى العهد القديم نصوص كثيرة صريحة الدلالة على مايدين به اليهود من تجسيد الله تعالى .

وقد يقال إن فى العبارات كفاية وتمثيلا ، ولكن هذا القول إن صح فى بعض العبارات فإنه لا يصح فى بعضها الآخر ، لأن التعبير بالحقيقة واضح لامجاز فيه ولا خيال .

ولقد بلغ من تأصل هذه العقيدة فى نفوس اليهود أن اعترف بها مؤرخ من أنصارهم ، فقال إن طائفة الربانيين –وهى المقابلة لطائفة القرائين عندهم– ملأوا التلمود بالتجسيد ، فالله فى زعمهم ذو صفات بشرية ، يحب ويكره ، ويرضى ويغضب ، ويضحك ويبكى ، ويخطىء ويندم ، ويلبس التمائم ، ويدرس التوراة فى كل يوم ثلاث مرات[١] .

---

(١) قصة الحضارة دل ديورانت المجلد الرابع الجزء الثالث ١٨ ، ١٩ ، ٤٤ ، ٧٤ ، ١٠٦ ، ١٠٨ .

نجد فى العهد القديم كثيراً من النصوص مثل :

١ - وقال الله : نعمل الإنسان على صورتنا كشَبَهنا ، فخلق الإنسان على صورته[١] .

فهذا النص صريح فى أن الإنسان يشبه خالقه تعالى ، ولا مَنْفَذَ هاهنا إلى مجاز ، ولا مفر من هذا التشبيه .

٢ - لبس الله خوذة الخلاص على رأسه[٢] .

٣ - شعر رأسه كالصوف النقى ، وعرشه لهيب نار[٣] .

٤ - لباسه أبيض كالثلج[٤] .

٥ - أَمِلْ أذنيك ياإلهى ، واسمع ، وافتح عينيك وانظر[٥] .

٦ - عيناه تنظران ، أجنانه تمتحن بنى آدم[٦] .

٧ - صعد دخان من أنفه ونار من فمه[٧] .

٨ - نزل وضباب تحت رجليه[٨] .

---

(١) سفر التكوين ٢٦/٢ - ٢٧ .
(٢) سفر أشعياء ١٧/٥٩ .
(٣) سفر أرمياء ٩/٧ .
(٤) سفر أرميا ٩/٧ .
(٥) سفر دانيال ١٨/٩ .
(٦) مزمور ٤/١١ .
(٧) مزمور ٩/١٨ .
(٨) مزمور ٩/١٨ .

٩ – شفتاه ممتلئتان سخطاً ولسانه نار آكلة ، ونفخته كنهر غامر يبلغ إلى الرقبة[١] .

١٠ – ثم أعطى موسى عند فراغه من الكلام معه فى جبل سيناء لوحَىْ حجر مكتوبين بأصابع الله[٢] .

١١ – أحشائى أحشائى ، توجعنى جدران قلبى ، يئن فى قلبى ، لا أستطيع السكوت[٣] .

١٢ – يكلم الرب موسى وجهاً لوجه كما يكلم الرجل صاحبه[٤] .

١٣ – لما صعد موسى وهارون وناراب وأبيهو وسبعون من شيوخ إسرائيل رأوا إله إسرائيل ، وتحت رجليه حلية من العقيق الأزرق الشفاف كالسماء فى النقاء ، ولكنه لم يمد يده إلى أشراف إسرائيل[٥] .

فى هذه النصوص دلالات واضحة على التجسيد ، فلله رأس ، وله شعر ، وهو يلبس خوذة على رأسه ، وله جسد يلبس فوقه ملابس بيضاء ، وله أذن وعينان وأجفان ، وله أنف يصعد منه دخان ، وفم يخرج نارا ، وله رجلان وشفتان ولسان وزفير ، وله أصابع تكتب ،

(١) سفر أشعياء ٢٧/٣٠ – ٢٨ .
(٢) سفر الخروج ١٨/٣١ .
(٣) سفر أرميا ١٩/٤ .
(٤) سفر الخروج ١١/٣٣ .
(٥) سفر الخروج ٩/٢٤ – ١١ .

وأحشاء تمرض وتؤلمه ، وله قلب يتأذى ويسقمه ، وهو يتمثل فى محادثته لموسى رجلا مثله .

٢ – الحـــلول :

لا غرابة فى أن يتصوروه بعد هذا التجسيد حالا فى مكان معين محدد .

زعموا أنه قال : أسكنُ فى وسط بنى إسرائيل ، وأكون لهم إلها[١] .

وادعوا أنه كلم موسى قائلاً : أُوصِى بنى إسرائيل أن يَنْفوا من المحلة كل أبرص وكل .... لأنى ساكن فى وسطهم[٢] .

وجاء فى مزاميرهم : رَنِّموا للرب الساكن فى صهيون[٣] .

وافتروا أنه كان يمشى أمامهم فيرونه نهاراً ويرونه ليلا ، كان يسير أمامهم نهاراً فى عمود سحاب ليهديهم الطريق ، ويسير ليلا فى عمود نار ليضيء لهم[٤] .

وزعموا فى الأخبار بإهلاك قوم لوط وتدمير سَدُوم وعَمُورة أن ثلاثة رجال هم الله وملكان معه قدموا على إبراهيم وهو أمام ضحيته ،

---

(١) سفر الخروج ٢٩/٤٥ .
(٢) سفر العدد ٥/١ – ٣ .
(٣) مزمور ٩/١١ .
(٤) سفر الخروج ١٣/٢٠ .

فعرف الله من بينهم ورجاه أن يستريح عنده من السفر هو ومن معه ، ثم قدم إليهم ماء ليشربوا منه ، وليغسلوا أرجلهم ، وقدم لهم عجلا وفطائر ليَطْعَمُوا ، فأوى الإله والملكان إلى ظل شجرة ، وأكلوا مما قدم إليهم إبراهيم ، وهو جالس على مقربة منهم[1] .

(رد القــرآن عليهـــم) :

فإذا ما رجعنا إلى القرآن الكريم وجدناه ينفى التجسيد وينفى الحلول نفياً قاطعاً :

١ - لأن الله سبحانه وتعالى واجب الوجود ، ومن صفات واجب الوجود أن تكون ذاته واحدة ، وألا يكون مركباً من أعضاء أو أجزاء ، لأنه لو كان مركباً لتقدم وجود أجزائه على وجود ذاته ، فيصير وجود الذات محتاجاً إلى وجود غيرها ، وهذا محال .

ولأنه لو كان مركبا من أجزاء لصار الحكم له بالوجود محتاجاً إلى الحكم أولاً بوجود أجزائه ، وهذا نقص ، لأن واجب الوجود موجود بذاته لذاته .

على أنه لا مُسَوِّغَ لأن يكون وجوب الوجود له ولا يكون لكل جزء من أجزائه ، بل إن العقل يقضى بأن يكون الوجوب لهذه الأجزاء أولى منه .

---

(١) سفر التكوين ١/١٨ - ٨ .

لهذا فإنه من الكفر أن يقال إن الإله مركب من أعضاء، أو أنه متحيز فى مكان ، أو إنه مُجَسَّد مُحَدَّد .

٢ - وهو جل وعلا واجب الوحدة فى صفاته أيضاً ، فلا يساويه فيها موجود ، لأن الصفة تابعة لمرتبة الوجود ، وليس فى الموجودات ما يساوى واجب الوجود فى مرتبته ، فلا يكون فيها ما يساويه فيما يتبع مرتبته من صفات .

٣ - وقد وصف القرآن الكريم الخالق سبحانه وتعالى بأنه سميع وبصير ومتكلم ، ولكن السمع والبصر والكلام وغيرها ليست بآلة ولا جارحة مثل جوارحنا ، ليست بأذن ولا حدقة ولا لسان مما نعرف ، بل هى كلها من شئونه التى لا يعلمها سواه ، وهى قديمة بقدمه ، ولا يمكن لعقولنا أن تعرف حقيقتها ، فعلينا أن نؤمن بأن الله تعالى موجود ولا يشبه الكائنات ، ولا تشبهه المخلوقات ، وأنه أزلى أبدى حىٌّ عالم مُريد قدير سميع عليم خبير بصير .

٤ - وشتان ما بين المعانى التى وردت فى بعض آيات القرآن الكريم وبين التجسيد الذى ذكره اليهود .

فقد نفى القرآن الكريم المماثلة لذات الله تعالى فى قوله : ﴿ليس كمثله شيءٌ وهو السميع البصير﴾(١) ، فجاء نفى المماثلة مؤكداً ، لأننا حينما نقول لإنسان : مثلك لا يكذب ، ننفى الكذب عنه بنفيه عن مثله ، وهذا أبلغ فى النفى من نفى الكذب عنه مباشرة .

(١) سورة : الشورى ١١ .

وقال سبحانه : « لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء ﴾[١] ، فإنه سبحانه وتعالى سمع قولهم بالوسيلة التى لا يعلمها غيره ، فلم يَخْفَ عليه ، وذلك أن اليهود لما سمعوا قوله تعالى : ﴿ من ذا الذى يُقْرِض الله قرضاً حَسَنًا فيضاعفَه له أضعافاً كثيرة ﴾[٢] قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء ، فنزلت هذه الآية .

وقال تعالى لموسى وهارون عليهما السلام : ﴿ لا تخافا إننى معكما أسمع وأَرَى ﴾[٣] أى إننى أسمع وأرى وأعلم ما يجرى بينكما وبين فرعون من قول وفعل ، فأحفظكما وأنصركما .

وقال تعالى: ﴿ وألقيتُ عليك محبةً منى ، ولتُصْنَعَ على عينى ﴾[٤] أى أنك بعناية منى ومحبة سترَبّى تربية حسنة ، وأنا أرعاك وأراقبك كما يراعى الرجل بعينيه شيئا يعتنى به .

وقال عز وجل : ﴿ إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله ، يدُ الله فَوْقَ أيديهِمْ ﴾[٥] فالمعنى هنا على طريق التمثيل ، لأن الذين عقدوا الميثاق مع رسول الله فى بيعة الرضوان كأنهم عقدوه مع الله ، كما قال تعالى : ﴿ من يطع الرسول فقد أطاع الله ﴾[٦] ، أو لأن قدرة الله فوق قدرتهم منضمة إليها مؤيدة لها .

---

(١) سورة : آل عمران ١٨١ .
(٢) سورة : البقرة ٢٤٥ .
(٣) سورة : طه ٤٦ .
(٤) سورة : طه ٣٩ .
(٥) سورة : الفتح ١٠ .
(٦) سورة : النساء ٨٠ .

وقال تعالى : ﴿ وقالت اليهود يدُ الله مَغْلولةٌ ، غُلَّتْ أيديهم ، ولُعِنوا بما قالوا ، بل يداه مبسوطتان يُنْفق كيف يشاء ﴾[١] فغل اليد كناية عن البخل ، وبسطها كناية عن الجود ، كما جاء فى قوله تعالى : ﴿ ولا تجعل يدك مغلولةً إلى عُنُقك ، ولا تَبْسُطْها كلَّ البَسْط ، فَتَقْعُدَ مَلُوما محسورا ﴾[٢] .

وليس المراد إثبات يد ولا غل ولا بسط ، بل المراد تمثيل حالة معنوية بأمر واقعى محسوس ، لأن المحسوس أوضح وأبقى فى الذهن .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ سنكتبُ ما قالوا ﴾[٣] ، أى سنكتبه فى صحائف الحفظة ، أو سنكتبه فى علمنا كما يكتب المكتوب فلا ينسى ، وسنكتبه بطريقة لا يعلمها سوانا .

أما نسبة الفم الذى يخرج نارا ، والأنف الذى ينفث دخانا ، والرأس المغطى بشعر كالصوف ، والأصابع التى تكتب ، والأحشاء التى تتألم ، والقلب الذى يئن إلخ . فإنها أباطيل يهودية ، ومفتريات على الذات العلية ، تعالى الله عما يقولون علوًّا كبيرا .

وأى عاقل من المسلمين أو من غيرهم تلتبس عليه هذه الترهات فلا يرفضها رفضا ؟ .

---

(١) سورة : المائدة ٦٤ .
(٢) سورة : الإسراء ٢٩ .
(٣) سورة : آل عمران ١٨١ .

وأى رشيد من المسلمين أو من غيرهم يصدق أن كتاباً منزلا من عند الله يصفه بهذه الصفات ؟

وأين هذا التصوير الضال من تنزيه الخالق عن هذا كله كما يذكر القرآن الكريم ، وهو كتاب الله الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

قال تعالى : ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾[١] .

وقال سبحانه : ﴿لا تدركه الأبصار ، وهو يدرك الأبصار ، وهو اللطيف الخبير﴾[٢] .

وقال تعالى : ﴿وإذ قلتم يا موسى لن نؤمنَ لك حتى نَرَى الله جَهْرةً ، فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون﴾[٣] .

وقال سبحانه : ﴿وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وَحْيًا أو مِنْ وراءِ حجابٍ ، أو يُرْسِلَ رسولا فيُوحِيَ بإذنه ما يشاء ، إنه عليٌّ حكيم﴾[٤] .

وقال تعالى : ﴿قل أغيرَ الله أتَّخِذُ وليًّا فاطرِ السماوات والأرض ، وهو يُطْعِم ولا يُطْعَم﴾[٥] فهو سبحانه وتعالى متفرد

---

(١) سورة : الشورى ١١ .
(٢) سورة : الأنعام ١٠٣ .
(٣) سورة : البقرة ٥٥ .
(٤) سورة : الشورى ٥١ .
(٥) سورة : الأنعام ١٤ .

لا يماثله شيء من مخلوقاته ، وهو لا يبصره أحد ، ولا يسمع صوته أحد ، وهو منزه عن الطعام والشراب وأعراض البشر ، وهو لا يتحيز فى مكان .

٥ - ولقد بلغ من تنزيه المسلمين لله تعالى عن التجسيد وعن المشابهة وعن الحلول أنهم اختلفوا فى جواز رؤية بعض الصالحين له فى الآخرة ، ولكنهم متفقون على أن هذه الرؤية ليست هى المعروفة لنا فى الحياة الدنيا ، بل هى رؤية من نوع آخر لا نعلمه ، رؤية ليس فيها تحديد ولا كيف ، ربما تكون بنوع من البصر يختص الله به بعض عباده ، أو ربما تكون بطريقة من الكشف تقوم مقام الإدراك بالعيون .

٦ - وأما قصة قوم لوط فإن القرآن الكريم ذكرها على حقيقتها ، فبين أن الذين قدموا على إبراهيم عليه السلام كانوا ملائكة فى صورة بشر ، فظنهم إبراهيم بشرا ، فقدم إليهم طعاما ، فلم يمدوا إليه أيديهم ، لأن الملائكة لا يأكلون ، ﴿ فلما رأى أيديَهُمْ لا تصِلُ إليه نَكِرَهم ، وأوجَسَ منهم خِيفةً ، قالوا : لا تَخَفْ إنا أُرْسِلْنَا إلى قوم لوط ﴾[1] .

فلم يكن الله عز وجل أحدهم ، ولم يأكل مما قدم إليهم إبراهيم كما افترى واضعو التوراة .

وإذا كان الملائكة -وهم من خلق الله- لا يأكلون

(١) سورة : هود ٧٠ .

ولا يشربون ، فكيف جَرُؤ الفكر الإسرائيلى أن يصور رب الملائكة والناس والكون كله يأكل ويشرب ؟

ألا لهم الويل مما خَبَّروا ، ومما لَفَّقوا ، ومما كذبوا على الله .

٣ - الأبـوة :

افترى اليهود على الله أن له ابناً كما أن للبشر أبناء ، وهو يستحيل على من يأكل ويشرب ويمارس مايمارسه البشر أن يكون له ابن أو عدة أبناء ؟

ومن البدائه التى تهتدى إليها العقول أن الله تعالى لا والد له ولا ولد ، لأنه وحده الأزلى الأبدى .

ولهذا جاءت الأديان السماوية بالدعوة إلى الوحدانية الخالصة التى لا تشوبها شائبة ، ثم انحرف بها بعض أتباعها إلى ضلالات لم تجىء بها ، كزعم اليهود أن لله ولدا .

(رد القرآن عليهم) :

لقد أبطل القرآن الكريم هذه الفرية ، قال تعالى : ﴿وقالت اليهود عُزَيْرٌ ابنُ الله ، وقالت النصارى المسيحُ ابن الله ، ذلك قولهم بأفواههم ، يُضاهئون قول الذين كفروا من قبل ، قاتلهم الله أَنَّى

يُؤْفَكون . اتَّخذوا أَحْبارهم ورُهْبانهم أربابا من دُونِ الله والمسيحَ ابن مريم ، وما أُمِروا إلا ليعبدوا إلها واحدا ، لا إله إلا هو سبحانه عما يُشركون ﴾(١) .

وقال سبحانه : ﴿ وقالوا اتخذ الله ولدا ، سبحانه ، بل له ما فى السموات والأرض ، كلٌّ له قانتون . بديع السماوات والأرض ، وإذا قَضَى أمرا فإنما يقول له : كُنْ فيكون ﴾(٢) .

وقال عز وجل : ﴿ وقالوا اتَّخذ الرحمن ولدا ، لقد جئتم شيئاً إدًّا ، تكاد السماوات يَتَفَطَّرن منه ، وتَنْشَقُّ الأرضُ ، وتَخِرُّ الجبال هدًّا ، أَنْ دعوا للرحمن ولدا ، وما ينبغى للرحمن أن يتخذ ولدا . إنْ كلُّ من فى السماوات والأرض إلا أتى الرحمنِ عبدا ﴾(٣) .

وقال تعالى : ﴿ قل هو الله أحد ، الله الصَّمَد ، لم يَلِدْ ولم يُولَدْ ، ولم يكن له كُفُوًا أحد ﴾(٤) .

---

(١) سورة : التوبة ٣٠ – ٣١ أى أن اليهود والنصارى يشابهون الكفار السابقين فى نسبتهم لله ولدا ، لأن الرومان القدماء كانوا يعتقدون أن الإله جوبتر أنجب بريسوس من العذراء داناى ، وأنجب هرقل من العذراء الكمين ، وكان البراهمة يزعمون أن الإله برهما ولد ابنه كريشنامن العذراء إيفاكى . وكان الفراعنة يزعمون أن الإله أوزوريس أنسل حوريس من إيزيس .

(٢) سورة : البقرة ١١٦ – ١١٧ .

(٣) سورة : مريم ٨٨ – ٩٣ إدا : منكراً شنيعاً . يتفطرن : يتشققن . تخر : تسقط .

(٤) سورة : الإخلاص .

٤ – ناقص العلم :

ووصفوه – تنزه عما يأفكون – بأنه ناقص العلم ، محدود المعرفة ، محتاج إلى أرشادهم له ليميزهم من غيرهم .

لهذا لما عزم على أن يضرب فى مصر كل بكر من الناس والحيوان خشى أن تنزل ضرباته ببنى إسرائيل ، فطلب منهم أن يميزوا بيوتهم بدماء الكباش التى يلطخون بها قوائم أبواب دورهم وعتباتها[١] .

ولهذا أيضاً ناقشه إبراهيم حينما همَّ بتدمير سَديم وعَمُورة ، وبين له أن بعض أهليهما صالحون لا يستحقون التدمير ، وأنه ليس من العدل أن يعاقب البرىء بذنب المسىء[٢] .

(رد القرآن عليهم) :

أليس من إغراق اليهود فى الضلال أن ينسبوا إلى الله تعالى نقص العلم ، وافتقاره إلى أن يخبره إبراهيم بما يجهله ؟

فلنصغ إلى القرآن الكريم لنجده يصور المولى سبحانه وتعالى عليما بما جلَّ وصغر ، خبيراً بما ظهر وبما استتر ، بصيراً لا يحتاج إلى إرشاد ، محيطاً بالماضى والحاضر والمستقبل إحاطة شاملة كاملة .

قال تعالى : ﴿ هو الذى خلقكم ، فمنكم كافرٌ ومنكم مؤمنٌ ، والله بما تعملون بصير . خلق السماواتِ والأرضَ بالحق ، وصَوَّركم

---

(١) سفر الخروج ١٢/٧ – ١٤ .
(٢) سفر التكوين ١٨/١٦ – ٣٣ .

فأحْسَنَ صُوَركم ، وإليه المصير . يعلم ما فى السماوات والأرض ، ويعلم ما تُسِرُّون وما تُعْلنون ، وَالله عليم بذات الصدور ﴾(١) .

وقال سبحانه : ﴿إن الله لا يَخْفَى عليه شيء فى الأرض ولا فى السماء ﴾(٢) .

وقال تعالى : ﴿وما تكون فى شأن ، وما تتلوا منه من قرآن ، ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهودا إذْ تُفِيضون فيه ، وما يَعْزُبُ عن ربك من مثقال ذَرَّةٍ فى الأرض ولا فى السماء ، ولا أصغرُ من ذلك ولا أكبر إلا فى كتاب مبين ﴾(٣) .

وقال سبحانه : ﴿عالم الغيب والشهادة ، وهو الحكيمُ الخبير ﴾(٤) .

٥ - خادع مضلل :

وكذلك وصفوه -تعالى عما يأفكون- بأنه يخدع عباده ويضللهم ، وبأنه يجهل الغيب ، ولا يدرك منه شيئاً ، فزعموا أنه نهى آدم وحواء عن أن يَطْعما من شجرة المعرفة ، وهو يخفى عليهما حقيقتها وعاقبة الأكل منها ، وحذرهما أن يقرباها بدعوى أن الأكل منها يُفْضِي إلى الفناء ، وهو يعلم أن الأكل منها يفضى إلى المعرفة

(١) سورة : التغابن ٢ - ٤ .
(٢) سورة : آل عمران ٥ .
(٣) سورة : يونس ٦١ .
(٤) سورة : الأنعام ٧٣ .

ونضج العقل والفكر ، لكنه كان يضللهما ليبقيا جاهلين فلا يشاركاه في صفة العلم والمعرفة . ثم أغراهما الشيطان ، فأكلا من الشجرة ، فبدت لهما سوءاتهما ، فأدركا أنهما لا يليق بهما ولا بربهما أن يلقياه وهما مكشوفا العورتين ، ولهذا لما سمعا صوته وهو مقبل عليهما اختفيا ، وجعلا يَخْصِفان على عورتيهما من ورق الجنة ، فناداهما ربهما وسألهما ، فعرف أنهما قد عصياه ، وأكلا من شجرة المعرفة .

ومنذ ذلك الوقت صار الإنسان الآلهة ، لأنه عرف الحسن والقبيح ومَيَّز بينهما .

فلم يكن بدٌّ من طرد آدم وحواء من الجنة ، حتى لا تمتد يداهما إلى شجرة أخرى هي شجرة الخلد ، فيضيف الإنسان إلى صفة المعرفة الخلود ، وهي أعلى صفات الله[(١)] .

(رد القرآن عليهم) :

هذا افتراء مركب ، وبهتان مضاعف ، وضلال يموج بعضه في بعض . والحق ماذكره القرآن الكريم في قصة آدم وحواء في عدة مواضع ، وليس في واحد منها كلمة تنافي علم الله وقدرته وإرادته وتنزهه مما افترى اليهود .

ومعاذ الله أن يخلق آدم وحواء ، ثم يحاول أن يخدعهما ليصرفهما

---

(١) سفر التكوين الإصحاح ٣ .

عن المعرفة التى يختص بها ، فإن معرفة الإنسان مهما تبلغ قطرة من بحر المعرفة الإلهية .

وحاشا لله أن يغار من عَبْدَيْه ويَنْفِس عليهما هذه المعرفة ، فيطردهما من الجنة مخافة أن يشاركاه فى صفة الخلود ، لأنه لو أراد أن يحول بينهما وبين المعرفة لفعل ، ولو أراد لهما البقاء الأزلى فى الجنة لحقق ما أراد .

ولم ينشأ الفناء عن طردهما من الجنة ، بل هكذا خلقهما الله للحياة وللموت ، وشاء الله أن يهبطا إلى الأرض ليَعْمُرها نسلهما ، ولحكم لا يعلمها سواه .

فلنرجع إلى قصة آدم فى القرآن الكريم لنعلم أن الله تعالى هو الذى خلقه ، وهو الذى علمه ، قال تعالى : ﴿ وعلَّم آدمَ الأسماءَ كلها ، ثم عرضهم على الملائكة فقال : أنبئونى بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين . قالوا : سبحانَك لا علمَ لنا إلا ما عَلَّمتنا ؛ إنك أنت العليم الحكيم . قال : يا آدمُ أَنْبِئْهم بأسمائهم ، فلما أنبأهم بأسمائهم قال : ألم أَقُلْ لكم إنى أعلم غَيْبَ السماوات والأرض ، وأعلم ما تُبْدُون وما كنتم تكتمون ﴾[1] .

وفى قصة آدم فى القرآن الكريم أن الله تعالى نهاه عن الأكل من الشجرة ، وحَذَّره وحَذَّر حواء وسوسة الشيطان وإغواءه ، قال

(١) سورة : البقرة ٣١ - ٣٣ .

تعالى : ﴿ فقلنا : يا آدم إن هذا عدو لك ولزوجك ، فلا يُخْرِجَنَّكما من الجنة فتَشْقَى . إن لك ألا تجوع فيها ولا تَعْرَى . وأنك لا تظمأ فيها ولا تَضْحَى . فوسوس إليه الشيطان ، قال : يا آدم هل أدلك على شجرة الخُلْد ومُلْكٍ لا يَبْلَى . فأكلا منها ، فبدت لهما سوءاتهما ، وطَفِقا يَخْصِفان عليهما من ورق الجنة ، وعَصَى آدم ربه فَغَوَى . ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهَدَى ﴾[١] .

على أن القرآن الكريم حافل بالآيات التى تثبت لله العلم الكامل الشامل الذى لا يتخلف عن شىء ، ولا يتخلف عنه شىء ، كقوله تعالى : ﴿ عالم الغيب والشهادة ، وهو الحكيم الخبير ﴾[٢] ، وقوله سبحانه : ﴿ قل : لا يَعْلَمُ مَنْ فى السماوات والأرض الغَيْبَ إلا الله ، وما يشعرون أَيَّانَ يُبْعثون ﴾[٣] ، وقوله جل وعلا : ﴿ وربُّك يعلمُ ما تكِنُّ صدورهم وما يُعْلنون ﴾[٤] .

فلم يكن ليَخْفَى على الله تعالى ما سيفعله آدم وحواء ، ولم يكن ليغيب عنه ما يصيران إليه بعد أكلهما من الشجرة .

---

(١) سورة : طه ١١٧ - ١٢٢ .
(٢) سورة : الأنعام ٧٣ .
(٣) سورة : النمل ٦٥ .
(٤) سورة : القصص ٦٩ .

٦ – يخطىء .

ومن أراجيف اليهود أن الله سبحانه وتعالى يخطىء كما يخطىء البشر ، ويندم على خطئه كما يندمون ، ويخاف لوم الناس كما يخافون . زعموا أنه قال : ندمت على أنى جعلت شاول ملكا ، لأنه رجع من ورائى ، ولم يقم كلامى(١) .

وزعموا أنه ندم على الشر الذى قال إنه ينزله بشعبه(٢) .

(رد القرآن عليهم) :

هذه صفة نقص تنافى الكمال الإلهى المطلق ، لا يقول بها ذو عقل وإن لم يكن ذا دين .

لهذا نزه القرآن الكريم الخالق عن هذا النقص ، قال تعالى : ﴿ لا يُسْأَل عما يَفْعل وهم يُسْأَلون ﴾(٣) .

وقال سبحانه : ﴿ والله يَحْكُم لا مُعَقِّبَ لِحُكمه ، وهو سريع الحساب ﴾(٤) .

٧ – ضعيف القدرة .

فى أسفار اليهود أن الله عز وجل ضعيف المقدرة ، يَعْيا كما يعيا

---

(١) سفر صمويل الأول ١٥/١٠ .
(٢) سفر الخروج ٣٢/١٤ .
(٣) سورة : الأنبياء ٢٣ .
(٤) سورة : الرعد ٤١ .

البشر ، لأنه بعد أن خلق السماوات والأرض فى ستة أيام استراح فى اليوم السابع ، وكان يوم السبت ، فبارك هذا اليوم ، وحرم فيه العمل(١) .

ثم أسَفَّ اليهود فى بهتانهم فزعموا أن فى البشر من ينافسون الله فى قوته وقدرته ، فإن يعقوب بعد أن عاد من مصر رغب فى أن يقابل أخا له ، فجلس فى خيمة ، فدخل عليه رجل ، فتصارعا حتى طلع الفجر ، ولما رأى الرجل أنه غير قادر على يعقوب ضرب حُقَّ فخذه(٢) ، فانخلعت فخذ يعقوب ، فقال الرجل له : أطلقنى لأن الفجر قد طلع ، فقال يعقوب : لا أطلقك مالم تباركنى ، فقال الرجل : ماإسمك ! فقال : إسمى يعقوب ، قال الرجل : لن يكون اسمك يعقوب بعد اليوم ، بل إسرائيل ، لأنك جاهدتَ مع الله والناس وقدرت .

فقال له يعقوب : أخبرنى باسمك ، فقال الرجل : لماذا تسألنى عن اسمى ؟ وباركه هناك ، فسمَّى يعقوب ذلك المكان (فنوئيل) وقال : لأنى نظرت الله وجهاً لوجه ، ونجيت نفسى .

وحينما أشرقت الشمس كان إسرائيل يَعْبُر ذلك المكان وهو يَخْمَعْ(٣) .

---

(١) سفر التكوين ٢/١ - ٤ .

(٢) حق الفخذ : رأس الورك الذى فيه عظم الفخذ .

(٣) يخمع : يعرج .

وهذا هو السبب فى أن بنى إسرائيل لا يأكلون عِرُقَ النَّسا لأنه على حُقِّ الفخذ ، فقد ضرب الإله حقَّ فخذ يعقوب على عرق النَّسا[١] .

(رد القــرآن عليهم) :

إن بارىء الكون كله ، المهيمن عليه وحده ، لا يجوز أن يتسرب إليه ضعف ما ، وإلا فَقَدَ صفة من صفات كماله .

لهذا يذكر القرآن الكريم فى آيات شتى أن الله هو العلى القدير ، وأنه لا يعجزه شىء فى الأرض ولا فى السماء ، كقوله تعالى : ﴿ولقد خلقنا السماوات والأرض وما بينهما فى ستة أيام وما مَسَّنا من لغوب﴾[٢] ، وقوله سبحانه : ﴿وهو الذى خلق السماوات والأرض بالحق ، ويَوْمَ يقول : كن ، فيكون . قوله الحقُّ ، وله الملك يوم يُنْفَخ فى الصُّور ، عالمُ الغيب والشهادة ، وهو الحكيم الخبير﴾[٣] .

وقوله تعالى : ﴿يُسَبِّح لله ما فى السماوات وما فى الأرض ، له الملك ، وله الحمد ، وهو على كل شىء قدير﴾[٤] .

وقوله تعالى : ﴿إذا قَضَى أمراً فإنما يقول له : كن ، فيكون﴾[٥] .

---

(١) سفر التكوين الإصحاح ٣ .
(٢) سورة : ق ٣٨ لغوب : تعب .
(٣) سورة : الأنعام ٧٣ .
(٤) سورة : التغابن ١ .
(٥) سورة : مريم ٣٥ .

وقوله عز وجل : ﴿ لا يُسْـأَل عما يفعل وهم يسألون ﴾[١] .

أما إسفافهم فى زعمهم أن فى البشر من ينافسون الله تعالى فى قدرته وقوته ، فإنه كان أحرى بهم أن يسائلوا أنفسهم : كيف خلق الله الناس بقدرته ، ثم صاروا له أندادا ؟

وكيف يهيمن على الكون كله ، ويهب الحياة ، ويمنح القوة ، ويسترد الحياة ، ويلغى القوة ، وفى مخلوقاته من ينافسه فى القوة حتى يكاد يماثله ؟

ومن ذا الذى يعقل أن الله تشكل فى صورة رجل صارع يعقوب ، ثم لم يستطع أن يصرع يعقوب ؟

ومن ذا الذى يصدق أن الله أراد أن يُفْلِتَ من يد يعقوب فعجز ؟ وأن يعقوب لم يسمح له بالانطلاق إلا بعد أن يباركه ؟

إن هذا ليس إشراكاً فحسب ، ولا وثنية فحسب ، بل هو أخس الشِّرْك ، وأحط دركات الوثنية ، وأقبح صورة يرسمها خيال للإله .

٨ - مولع بالتخريب .

وبلغ من إسفافهم فى تفكيرهم أنهم صوروا الإله شديد القسوة ، مولعاً بالتدمير ، كَلِفًا بالتخريب .

---

(١) سورة : الأنبياء ٢٣ .

نسبوا إليه أنه قال : حين تقترب من مدينة لتحاربها ادعها إلى الصلح ، فإن أجابت وسلّمت لك فكل من بها عبيد لك ، وإن لم تسالمك وحاربتك فحاصرها ، فإذا دفعها إلهك إلى يدك فاضرب جميع ذكورها بالسيف ، وأما النساء والأطفال والبهائم وكل ما فى المدينة فإنه غنيمة لك .

وهكذا افعل بجميع المدن البعيدة منك التى ليست من مدن الأمم التى هنا والتى يعطيك الرب إلهك ، لا تَسْتَبْقِ منها نَسَمة[1] .

وادّعوا أنه قال لموسى : كلم بنى إسرائيل ، وقل لهم إنكم تعبرون الأردن إلى أرض كنعان ، فتطردون كل سكانها أمامكم ، وتمحون جميع تصاويرهم ، وتبيدون كل أصنامهم المسبوكة ، وتخربون جميع مرتفعاتهم ، وتملكون أرضهم ، وتسكنون فيها .

فإن لم تطردوا سكان الأرض فسيكون الذين تَسْتَبْقُونهم أشواكا فى عيونكم ، ومَناخِسَ فى جُنوبكم ، يضايقونكم فى الأرض التى تسكنونها[2] .

وجاء فى وصية أخرى من وصايا الإله : لقد أوصيتكم بأن تضرموا النار فى المدينة التى تحتلونها[3] .

ولم تقتصر هذه القسوة على الإنسان والحيوان ، بل تجاوزتهما

---

(١) سفر التثنية ٢٠/١٠ - ١٦ .
(٢) سفر العدد ٣٣/٥٠ - ٥٥ .
(٣) سفر يشوع ٨/٨ .

إلى النبات والجماد ، فهم يدعون أن الإله أوصاهم بقطع الأشجار ، وتخريب المزارع والحدائق ، وطمس الآبار ، ففعلوا ماأمرهم به ، فكان كل واحد منهم يشارك فى هدم المدن ، وفى قذف الأحجار فى الحقل الخصيب ، وفى طَمْس منابع الماء ، وفى قطع الشجرات المثمرات[(١)] .

كذلك أحرقوا المدن بالنار حتى صعد دخانها إلى السماء[(٢)] .

ولما انتهى إسرائيل من قتل جميع سكان (عاى) فى حقل بالبرية ، وأفناهم بحد السيف رجع بنو إسرائيل إلى (عاى) فأفنوا من بقى بها ، فكان الذين قتلوا فى ذلك اليوم من رجال ونساء اثنى عشر ألفا هم سكان (عاى) جميعاً[(٣)] .

وقد اتجه اثنى عشر ألف رجل من بنى إسرائيل إلى (يابيش جلعاء) ليقتلوا رجالها ونساءها وأطفالها بالسيوف[(٤)] .

كذلك ضرب (نوب) مدينة الكهنة بحد السيف رجالاً ونساءً وأطفالا ورُضَّعاً وثيراناً وحميراً وغنماً[(٥)] .

---

(١) سفر الملوك الثانى ١٩/٣ ، ٢٤ ، ٢٥ .
(٢) سفر يشوع ١٩/٨ .
(٣) سفر يشوع ٢٤/٨ .
(٤) سفر القضاة ١٠/٢١ .
(٥) سفر صمويل الأول ١٩/٢٢ .

(رد القــرآن عليهم) :

ما من شك فى أن تصوير الإله بهذه الصورة القبيحة منتزع من حمأة نفسياتهم ، وصدًى لأخلاقهم الشريرة .

والحق ما جاء فى القرآن الكريم من وصف الله تعالى بالرحمة بعباده الطائعين ، وبالمغفرة للعاصين التائبين ، وبالشدة على العصاة المتمردين المستكبرين ، ولكنها شدة عادلة لا ضَراوة فيها ولا موجَدة كما زعم اليهود .

قال تعالى : ﴿وإلهكم إلهٌ واحد ، لا إله إلا هو الرحمٰن الرحيم﴾[١] .

وقال سبحانه : ﴿ومن يعملْ سوءاً أو يَظْلِمْ نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيماً﴾[٢] .

وقال تعالى : «قل : ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم ، لا تَقْنطوا من رحمة الله ، إن الله يغفر الذنوب جميعا ، إنه هو الغفور الرحيم﴾[٣] .

وفى القرآن الكريم آيات كثيرة تأمر بالرحمة ، وتحض على الخير والإصلاح والعمران ، وتنهى عن القسوة والتخريب .

---

(١) سورة : البقرة ١٦٣ .

(٢) سورة : النساء ١١٠ .

(٣) سورة : الزمر ٥٣ .

ولقد رحم الله عباده فوضع لهم دستوراً أوجب عليهم ألا يتعدوه فى حروبهم ، منه قوله تعالى : ﴿فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بِمِثْل ما اعتدى عليكم ، واتقّوا الله ، واعلموا أن الله مع المتقين﴾[1] .

٩ - ظمآن إلى الدماء .

ياللعجب من ضلالهم الذى لا ينتهى ؟

لقد صوروا المولى عز وجل نَهِمًا إلى الضحايا ، مولعاً بالقرابين ، لا يهدأ إلا إذا رأى الدماء تسيل ، والأرواح تُزْهَق ، والأشلاء تتناثر ، كأنه ليس الإله ، بل ليس إلهاً ، بل لا يتصف بما يتصف به الإنساء السَّوِىّ العادىّ ، لأن هذه صفات لا تليق إلا بالوحش الضارى أو بالإنسان الشاذ المخبول .

زعموا أن الضحايا التى تُحْرَق فى المذبح يستريح إليها الإله ، ويستطيب رائحة دخانها المتصاعد ، ولهذا يثور إن لم تُقَدَّمْ إليه ، ويهيج إذا قُدِّمت إليه على صورة أخرى ، وقد ينتهى به غضبه إلى أن يرسل على المقصرين ناراً تحرقهم[2] .

(رد القــرآن عليهم) :

يَنِمُّ هذا التصوير البشع عن وحشية مسعورة تتلظى فى

---

(١) سورة : البقرة ١٩٤ .

(٢) سفر اللاويين كله .

نفوسهم ، وتأبى إلا أن تستعلن فى أفعالهم وفى بهتانهم الذى افتروه على الله .

وتاريخهم غاص بوحشيتهم ، فقد كان السحرة من اليهود يستخدمون الدماء البشرية فى أعمالهم الدينية منذ زمن بعيد ، حتى إن بعض الأسفار التى بأيديهم سخطت هذا العمل « أما أنتم فتقدَّمُوا إلى هنا يا بنى الساحرة ، نسل الفاسق والزانية . بمن تسخرون ؟ وعلى من تَفْغَرون الفم وتَدلعون اللسان ؟ أما أنتم أود المعصية نسل الكذب ، المتوقدون إلى الأصنام تحت كل شجرة خضراء ، القاتلون الأولاد فى الأودية وتحت شقوق المعاقل[1] .

وقد سجل وحشيتهم كثير من المؤرخين ، كالمؤرخ اليهودى برنارد لازار فى كتابه (اللاسامية) إذ قال إن عادة ذبح الأطفال راجعة إلى أن السحرة القدماء من اليهود كانوا يستخدمون دماء الأطفال غير اليهود فى أعمالهم الدينية .

وقال ج كيتو فى كتابه (مجموعة الكتاب المقدس) الذى نشره سنة ١٨٩٥ إن محاريبهم ملطخة بالدماء التى سفكوها منذ عهد إبراهيم حتى سقوط مملكة إسرائيل ويهوذا .

وقال ج أ. دوزرى فى كتابه (الحضارة) إن معابدهم مخيفة جداً . وهى المراكز التى تقع بداخلها جرائم القرابين البشرية .

---

(١) سفر أشعيا ٣/٥٧ - ٦ .

وذكرت دائرة المعارف اليهودية أنه إذا كانت اليهود قد اتبعوا أمراً مما دعاه إليهم حكماؤهم فإن هذا الأمر هو القرابين البشرية التى يقدمونها للإله يهوه ملك الأمة ؛ وقد مارسوا تقديمها منذ أواخر عهد الملكية اليهودية .

ونقل الدكتور أريك بسكوف الألمانى - وهو مختص بدراسة تعاليم اليهود - عن كتاب يهودى أن الدين الحكيم أوصى اليهود بقتل الأجانب ، لأنه لا فرق بينهم وبين الحيوانات ، وهذا القتل يجب أن يتم بطريقة شرعية ، والذين لا يؤمنون بتعاليم الدين اليهودى وبشريعة اليهود يجب تقديمهم قرابين إلى الإله الأعظم..

كذلك ذكر السير ريتشارد بورثون - وهو دارس للتلمود والعلاقة بغير اليهود - فى كتاب نشره سنة ١٨٩٨ أن التلمود يعين مناسبتين دمويتين ترضيان إله اليهود يهوه ، إحداهما عيد الفطائر الممزوجة بدماء البشر ، والأخرى احتفالهم بختان أطفالهم .

وهذه المذابح البشرية التى اقترفها اليهود سجل أرنولد ليز أهمها فى كتابه الذى نشره سنة ١٩٣٨ ، وتتبع ما عرفه من جرائمهم منذ سنة ١١٤٤م(١) .

لم يبق شك فى أن تصوير اليهود لله بأنه متعطش إلى الدماء ،

---

(١) خطر اليهودية العالمية على الإسلام والمسيحية ٧٧ - ١٠٥ .

مُخَرِّب ، مُدَمِّر ، ماهو إلا صدًى لما فى أغوار نفوسهم الخبيثة الحاقدة المولعة بالبوار والدمار .

أما القرآن الكريم فإنه ينزه الله تعالى عن هذا كله .

قال تعالى : ﴿ والبُدْنَ جعلناها لكم من شعائر الله ، لكم فيها خير ، فاذكروا اسم الله عليها صواف ، فإذا وَجبتْ جنوبُها فكلوا منها ، وأطعموا القانع والمعْتَرَّ ، كذلك سخَّرناها لكم لعلكم تشكرون . لن ينال الله لحومُها ولا دماؤها ، ولكن يناله التقوى منكم ، كذلك سخَّرها لكم لتكبِّروا الله على ما هداكم ، وبَشِّر المحسنين ﴾[1] .

١٠ – ظــالم .

لم يستح اليهود فى افترائهم على الله أن ينسبوا إليه الجور ، والميل مع الهوى ، مثلما يجور بعض الناس ويميلون .

وذلك أن فى زعمهم يؤثرهم بمحبته ، ويفضلهم على سواهم ، ويميزهم على سائر عباده ، لأنهم فى نظره أرقى وأولى بالإيثار .

ولهذا وضع لهم شريعة خاصة بهم لا يشركهم فيها أحد ، كأنهم وحدهم من خلقه وبقية الناس من خلق غيره ، بل من خلق أعدائه .

نسبوا إلى الله تعالى قوله : ﴿ وقل اسمعوا حكمة الرب يا ملوك يهوذا وسكان أورشليم ، هكذا قال رب الجنود إله إسرائيل ﴾[2] .

---

(١) سورة : الحج ٣٦– ٣٧ البدن : جمع بدنة وهى الإبل ويلحق بها البقر. صواف : قائمات صفت أيديها وأرجلها . وجبت جنوبها : وقعت على الأرض. القانع : السائل . المعتر : المعترض بغير سؤال .

(٢) سفر أرميا ١٩/٣ .

وزعموا أنهم أحباب الله وأولياؤه وشعبه المختار الذى اختاره لتقديسه ، وليكون أخص به من جميع الشعوب التى على وجه الأرض[١] .

وادعوا أنهم الزرع المقدس الذى اختلط بشعوب الأرض[٢] .

واتهموا الشعوب الأخرى بأنها قذارة ونجس حرم الله عليهم مصاهرتها ، ففى مناجاتهم لله قولهم : ياإلهنا أفنعود ونتعدى وصاياك ، ونصاهر شعوب هذه الرجاسات ؟ أما تسخط علينا حتى تفنينا ، فلا تكون بقية ولا نجاة ؟[٣] .

ونسبوا إلى داود قول : أية أمة على الأرض مثل شعبك إسرائيل الذى افتديته وجعلت له اسماً ، وخلصته من مصر ، واخترته شعباً لك إلى الأبد ، فيقال رب الجنود إله على إسرائيل[٤] ؟

ويتصل بهذا الإيثار المكذوب أن الله تعالى رسم لبنى إسرائيل حدوداً لوطنهم ومعالم كما يرسم الجغرافيون الخرائط ، لأنهم زعموا أن الرب كلم موسى ليأمر بنى إسرائيل بدخول أرض كنعان ، وأنه قال له : قل لهم أنكم داخلون أرض كنعان ، وهى الأرض التى ترثونها .

يبدأ حدها الجنوبى من بَرِّية صين على جانب أدوم ، فيكون من

(١) سفر التثنية ١/٧ - ٦ .

(٢) سفر عزرا ٢/٩ .

(٣) سفر عزرا ١٤/٩ .

(٤) سفر صمويل الثانى ٢٣/٧ - ٢٦ .

طرف بحر الملح شرقاً ، ثم يستدير من جنوب عقبة العقارب ، ويمر إلى صين ، وينفذ من الجنوب إلى قادش ، ثم ينفذ إلى أدار وعصمون ء ثم يستدير من عصمون إلى نهر مصر نافذاً إلى البحر .

وأما الحد الغربى فهو البحر الكبير .

أما الحد الشمالى فمن البحر الكبير إلى جبل هور ، ومنه إلى مدخل حماه ، ثم إلى صدد وزفرون .

وأما الحد الشرقى فإنه من حصر عينان إلى شقام إلى ربلة إلى الأردن .

هذه حدودكم من كل الجهات[١] .

وكان من نتائج هـذه المحابـاة المزعومة التى يبرأ منها العدل الإلهى أن أباح الله تعالى لليهود –كما زعموا– ما حَرَّمه على غيرهم .

فمثلاً ليس للإسرائيلى أن يعامل أخاه الإسرائيلى بالربا ، ولا يجوز له أن يأخذ منه رهناً فى دَيْن ، فإن أخذ منه رهناً فى الصباح مما لا يستغنى عنه فى عمله اليومى وجب عليه أن يرده إليه فى المساء .

أما غير الإسرائيلى فمباحٌ نهبه ومعاملته بأبشع أنواع الربا[٢] .

---

(١) سفر العدد ٣٤/ ١ – ١٣ .

(٢) سفر التثنية الإصحاح ١٥ ، ٢٣ .

(رد القرآن عليهم) :

ما من شك فى أن نسبة الظلم إلى الله -تعالى عما يأفكون- صورة من زيفهم ، ودليل على أن الأسفار من اختلاق أقلام تدين بالعنصرية الممقوتة ، وتصف الأمم الأخرى كلها بأنها رجس ونجس يجب على اليهود أن يترفعوا عليهم فلا يخالطوهم ، ولا يصاهروهم ، ولا ينصحوا لهم ، ولا يسلموا عليهم ، على حين أنها تصف اليهود بأنهم أحباب الله وأولياؤه وشعبه المختار .

وإذا كانوا قد زعموا أن الله تعالى رسم لهم مملكة وحدَّدها تحديداً جغرافياً دقيقاً كما يفعل علماء المساحة وتقويم البلدان ، فإن هذه مَخْرقة ، ودليل على أن الأسفار من صنع أيديهم ، لأن المملكة المزعومة لم تكن ، ولن تكون ، ولأن الله لم يعين لأى شعب أرضاً يقيم بها أو يغتصبها من أهليها .

ولكن هذه المخرقة تنبىء بما كان يعتمل فى نفوسهم منذ عهد بعيد من أوهام وأحلام ، ومن حقد دفين ، وغدر مبيِّت ، وخطة قديمة الميلاد طويلة الأجل لعدوان خسيس غادر لا يرعى ديناً ولا خلقاً كريماً ولا أمة .

ولقد أبطل القرآن الكريم دعاواهم فى آيات كثيرة ، منها قوله تعالى : ﴿ قل يا أيها الذين هادوا إن زعمتم أنكم أولياء لله مِنْ دُونِ الناس فتمنوا الموتَ إن كنتم صادقين . ولا يتمنونه أبداً بما قَدَّمتْ

أيديهم ، والله عليم بالظالمين ، قل إن الموت الذى تفِرّون منه فإنه مُلاقيكم ، ثم تُرَدُّون إلى عالم الغيب والشهادة فيُنَبِّئكم بما كنتم تعملون ﴾(١) .

وقوله سبحانه : ﴿وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحِبَّاؤه ، قل فلِمَ يُعذبكم بذنوبكم ؟ بل أنتم بشرٌ ممن خَلَق ، يَغْفِرُ لمن يشاء ، ويُعَذِّب من يشاء ، ولله مُلْكُ السماوات والأرض وما بينهما ، وإليه المصير﴾(٢) .

والقرآن الكريم يصف الله سبحانه وتعالى بالعدل المطلق بين عباده ، قال تعالى : ﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾(٣) .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنُحْيِيَنَّه حياة طيبة ، ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون﴾(٤) .

وجاء فى آيات كثيرة أن الله سبحانه وتعالى رب العالمين لا رب اليهود وحدهم ، وأنه أعدل العادلين .

قال تعالى : ﴿والله يَقْضِي بالحق ، والذين يَدْعُون مِنْ دُونِه لا يَقْضُون بشىء ، إن الله هو السميع البصير﴾(٥) .

---

(١) سورة : الجمعة ٦ — ٨ .
(٢) سورة : المائدة ١٨ .
(٣) سورة : الحجرات ١٣ .
(٤) سورة : النحل ٩٧ .
(٥) سورة : غافر ٢٠ .

وقال سبحانه : ﴿ وما الله يريد ظلما للعباد ﴾[1] .

وقال تعالى : ﴿ من عمل صالحاً فلنفسه ، ومن أساء فعليها ، وما ربك بظلّام للعبيد ﴾[2] .

وقال عز وجل : ﴿ ولا تَزِرُ وازرةٌ وِزْرَ أخرى ، وإن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إلى حِمْلها لا يُحْمَلْ منه شيء ولو كان ذا قُرْبَى ﴾[3] .

وأما تحريمهم الربا فيما بينهم واستحلاله فى معاملة غيرهم من الأمم ، فإن القرآن الكريم ينقضه ، لأن الله سبحانه وتعالى حَرَّم الربا فى جميع صوره على جميع عباده ، قال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتَّقوا الله ، وذَرُوا ما بَقِى من الربا إن كنتم مؤمنين . فإن لم تفعلوا فأْذَنُوا بحرب من الله ورسوله ، وإن تبتم فلكم رءوسُ أموالكم لا تَظْلِمون ولا تُظْلَمون ﴾[4] وحرمه على اليهود وعاقبهم عليه ، ولكنهم إذْ لفقوا الأسفار أحلوا لأنفسهم ما حرمه الله عليهم ، فكذبوا على الله وكذبوا على الناس ، قال سبحانه وتعالى : ﴿ فبظلم من الذين هادوا حَرَّمنا عليهم طيباتٍ أُحِلَّت لهم ، وبصَدِّهم عن سبيل الله كثيرا ، وأَخْذِهم الربا وقد نُهُوا عنه ، وأكلهم أموالَ الناس بالباطل ، وأَعْتَدْنا للكافرين منهم عذاباً أليماً[5] .

---

(١) سورة : غافر ٣١ .

(٢) سورة : فصلت ٤٦ .

(٣) سورة : فاطر ١٨ .

(٤) سورة : البقرة ٢٧٨ — ٢٨٠ .

(٥) سورة : النساء ١٦٠ — ١٦١ .

(ثانيـاً)
أكاذيبهم على الأنبيـاء

استبان من أكاذيب اليهود على الله أن فى الأسفار التى بين أيدينا وأيدى اليهود افتراء عليه سبحانه وتعالى ، لأنها تصفه وتصوره بما يجب تنزيهه عنه ، ويبرأ من نسبته إليه من يؤمنون به وبرسله . فلننتقل إلى مجال آخر ، فستخبر فيه الأسفار عن الأنبياء ، لنرى كيف صورتهم ، وبم وصفتهم .

ولم يكن عجباً أن سول الضلال لواضعى الأسفار تصوير الأنبياء بما هم منه براء ، لأنه لا يليق بجلال النبوة ، ولا بالذين طهرهم الله واجتباهم من خلقه لتبليغ رسالاته وهداية عباده .

فقد وصف اليهود أنبياءهم بالفواحش التى يقترفونها هم ، وبالرذائل الفاشية فيهم ، من وثنية وزنا وسكر وسرقة وكذب وخداع ونفاق ، كأنهم يأبون أن يبرأ من موبقاتهم شخص واحد وإن كان من الأنبياء ، ولهذا حقت عليهم لعنة الله ، قال تعالى :

﴿لعن الذين كفروا من بنى إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون . كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه ، لبئس ما كانوا يفعلون﴾[1] .

---

(١) سورة : المائدة ٧٨ ، ٧٩ .

وهذه لمحة إلى مفترياتهم على الأنبياء .

١ – الوثنيـــة :

جاء فى سفر الخروج أن بنى إسرائيل استبطأوا عودة موسى من الجبل ، فطلبوا من أخيه هارون أن ينصب لهم إلها يعبدونهم ، وقالوا له : قم اصنع لنا آلهة تسر أمامنا ، لأن موسى أخرجنا من مصر ، ولا نعلم ماذا أصابه .

فقال لهم هارون : انزعوا أقراط الذهب التى فى آذان نسائكم وبنيكم وبناتكم ، وأتونى بها ، فنزعوها وأتوهة بها ، فأخذها وصورها بالأزميل ، وصنع منها عجلا مسبوكاً ، فقالوا : هذه آلهتك ياإسرائيل التى أصعدتك من أرض مصر .

فلما نظر هارون ذلك الإله بنى له مذبحا ، ونادى قائلا : غداً عيد الرب .

فبكروا فى الغد ، وأصعدوا محرقات ، وقدموا ذبائح سلامة ، وجلسوا ليأكلوا ويشربوا ، ثم قاموا ليلعبوا[١] .

هذه فرية على هارون ، يدحضها القرآن الكريم ، ويبطلها العقل السليم ، فإن هارون عليه السلام نبى معصوم شارك أخاه موسى علية السلام فى الدعوة إلى توحيد الله ، والنهى عن عبادة الأصنام وغيرها ،

---

(١) سفر الخروج ٣٢ /٢ – ٦ .

وقد استخلفه موسى على قومه فترة من الزمان فمن المستحيل أن يساعد على عبادة العجل .

والقرآن الكريم يذكر أن هارون عليه السلام نبى أوحى إليه ، قال تعالى : ﴿إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده ، وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان ، وآتينا داود زبورا﴾[1] .

وقال سبحانه لموسى وهارون : ﴿فأتيا فرعون فقولا إنا رسول رب العالمين﴾[2] .

أما العجل الذهبى فإن الذى صنعه السامرى لا هارون ، لأن اليهود ما لبثوا بعد اجتيازهم البحر وراء موسى أن تناسوا ما دعاهم إليه من التوحيد ، فطلبوا من موسى نفسه أن ينحت لهم تمثالا يعبدونه ، فاستنكر طلبهم وتوعدهم ، قال تعالى : ﴿وجاوزنا ببنى إسرائيل البحر ، فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم ، قالوا : يا موسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة ، قال : إنكم قوم تجهلون . إن هؤلاء مُتَبَّرٌ ما هم فيه ، وباطل ما كانوا يعملون . قال : أغير الله أبغيكم إلها﴾[3] .

---

(١) سورة : النساء ١٦٣ الأسباط : ذرية أولاد يعقوب الاثنى عشر الذين فجر لموسى الماء بعددهم ، والمراد أن الله تعالى أوحى إلى أنبياء منهم وهم نقباؤهم لا إليهم كلهم .

(٢) سورة : الشعراء ١٦ رسول رب العالمين : المراد رسولاه لكن الإفراد لأن عملهم واحد .

(٣) سورة : الأعراف ١٣٨ — ١٤٠ متبر : باطل وسبب للهلاك أو التدمير أبغيكم إلها : أطلب لكم إلها .

لكن موسى عليه السلام غاب عنهم لميقات ربه ، فصنع لهم السامرى عجلا جسدا له خوار ، فعبدوه ، قال سبحانه : ﴿واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلا جسدا له خوار ، ألم يروا أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا ؟ اتخذوه وكانوا ظالمين﴾[1] .

وقد ذكر سبحانه وتعالى أن السامرى هو الذى أضل قوم موسى فى غيبته ، فلما عاد إليهم موسى غضب وحزن ولامهم وهددهم بعقاب الله ، فاعتذروا بأن السامرى صنع لهم العجل من الذهب ، وفى الآيات نفسها تبرئة لهارون ، لأنه حاول أن يصدهم عن ضلالهم فعجز ، ولهذا لما استنكر منه موسى أنه لم يصرفه عن عبادة العجل اعتذر له ، وبرأ نفسه ، وصرف الجريمة إلى السامرى وإلهم ، قال تعالى : ﴿وماأعجلك عن قومك ياموسى؟ قال : هم أولاء على أثرى ، وعجلت إليك رب لترضى . قال : فإنا قد فتنا قومك من بعدك ، وأضلهم السامرى ، فرجع موسى إلى قومه غضبان أسفا ، قال : يا قوم ألم يعدكم ربكم وعدا حسنا ؟ أفطال عليكم العهد ؟ أم أردتم أن يحل عليكم غضب من ربكم فأخلفتم موعدى ؟ قالوا : ماأخلفنا موعدك بملكنا ، ولكنا حملنا أوزارا من زينة القوم ، فقذفناها ، فكذلك ألقى السامرى ، فأخرج لهم عجلا جسداً له خوار ، فقالوا : هذا إلهكم وإله موسى ، فنسى ، أفلا يرون ألا يرجع إليهم قولا ، ولا يملك لهم ضراً ولا نفعا ؟﴾ .

---

(١) سورة : الأعراف ١٤٨ جسدا : جسما وتمثالا لا روح فيه. خوار : صوت مثل صوت البقر يحدث حينما تمر الريح فيه .

﴿ولقد قال لهم هارون من قبل : ياقوم : إنما فتنتم به ، وإن ربكم الرحمن ، فاتبعونى ، وأطيعوا أمرى . قالوا : لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع إلينا موسى .

قال : ياهارون مامنعك إذ رأيتهم ضلوا ألا تتبعن ، أفعصيت أمرى ؟

قل : يابن أم لا تأخذ بلحيتى ولا برأسى ، إنى خشيت أن تقول فرقت بين بنى إسرائيل ولم ترقب قولى﴾[1] .

وإن براءة هارون لواضحة فى هذه الآيات وفى قوله سبحانه وتعالى : ﴿ولما رجع موسى إلى قومه غضبان أسفا قال : بئسما خلفتمونى من بعدى ، أعجلتم أمر ربكم ، وألقى الألواح ، وأخذ برأس أخيه يجره إليه ، قال : ابن أم إن القوم استضعفونى وكادوا يقتلوننى ، فلا تشمت بى الأعداء ، ولا تجعلنى مع القوم

---

(١) سورة : طه ٨٣ - ٩٤ ماأعجلك عن قومك : ماالذى جعلك تعجل فى السير وتسبق الذين اخترتهم للحضور معك لتلقى التوراة . على أثرى : ورائى لاحقون بى . فتنا قومك : أوقعناهم فى محنة ليتميز الطيب من الخبيث . السامرى : رجل من إقليم السامرة قدم إلى مصر بعد أن أقام بها بنو إسرائيل وخرج منها معهم وكان منافقاً يظهر التصديق بموسى ويخفى الكفر . وعداً حسنا : وعداً طيباً بإعطائكم التوراة التى فيها هدى ونور . العهد : فراق لكم . موعدى : وعدكم لى بالثبات على دينى حتى أعود . ملكنا : اختيارنا . زينة القوم حلى المصريين التى احتالت نساء اليهود على المصريات فاستعرنها منهن وهربن بها . قذفناها : رميناها فى النار كأمر السامرى .

الظالمين . قال : رب اغفر لى ولأخى ، وأدخلنا فى رحمتك ، وأنت أرحم الراحمين ﴾[١] .

وقد سخط الله ما صنعه بنو إسرائيل من اتخاذهم العجل إلها ، وتوعدهم بعقاب شديد فى قوله تعالى : ﴿إن الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وذلة فى الحياة الدنيا ، وكذلك نجزى المفترين ﴾[٢] .

٢ - الزنـــا :

سول لواضعى الأسفار نغل قلوبهم ، وفساد طويتهم ، وفحش سلوكهم أن يصموا بعض الأنبياء بالزنا .

١ - وأن القلم ليرتجف وهو يسطر افتراءهم على لوط عليه السلام ، فهو لم يزن فحسب ، بل زنى بابنتيه ، فحملتا ، وولدتا له ولدين .

وإنها لفرية بشعة تهبط بالنبى من علياه ، بل تسقط به من إنسانيته البهيمية ، لأنها تناقض الفطرة البشرية التى فطر الله الناس عليها منذ برأ آدم وحواء .

زعمت التوراة أنه بعد أن دمر الله سدون وعمورة عقاباً لأهليهما على إتيان (الذكران) ونجاة لوط وابنتيه ، صعد لوطِ إلى الجبل، فأقام

(١) سورة : الأعراف ١٥٠ ، ١٥١ .

(٢) سورة : الأعراف ١٥٢ .

هو وبنتاه فى مغارة ، فقالت الكبرى للصغرى : قد شاخ أبونا ، وليس هنا رجل يضاجعنا كعادة الناس ، وإن بقينا على هذه الحال انقرض نسل أبينا بعد وفاته ، فهلم نسقى أبانا خمرا ، ليفقد وعيه ، ونضطجع معه ، فنجىء منه بنسل .

وفى تلك الليلة سقت البنتان أباهما خمرا ، ودخلت الكبرى فضاجعته وهو لا يعلم بها ولا بما عملت .

وفى الغد قالت الكبرى للصغرى : اضطجعت البارحة مع أبى ، فهلم نسقيه الليلة خمرا لتضاجعيه ، فيجىء منه نسل ، فسقتا أباهما خمرا فى الليلة الثانية ، وقامت الصغرى فضاجعته ، وهو لا يعلم .

وكانت ثمرة هذا وذاك أن حملت البنتان من أبيهما .

ثم ولدت الكبرى ابنا وسمته مؤاب ، وهو أبو المؤابيين إلى اليوم .

وولدت الصغرى ابنا وسمته عمون ، وهو أبو بنى عمون إلى اليوم[1] .

فلنقرأ قصة لوط عليه السلام فى القرآن الكريم لنجد عصمة النبى ، التى يجب أن يدين بها كل ذى دين .

يذكرنا القرآن الكريم أن الله تعالى نجى لوطاً إلى أرض بعيدة عن الظالمين الذين أذوه هو وإبراهيم عليه السلام ﴿ قلنا يا نار كونى

(١) سفر التكوين ١٩/٣٠ — ٣٧ .

برداً وسلاماً على إبراهيم . وأرادوا به كيداً فجعلناهم الأخسرين . ونجيناه ولوطاً إلى الأرض التى باركنا فيها للعالمين . ووهبنا له إسحاق ويعقوب نافلة ، وكلا جعلنا صالحين . وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا ، وأوحينا إليهم فعل الخيرات وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ، وكانوا لنا عابدين .

ولوطاً آتيناه حكماً وعلما ، ونجيناه من القرية التى كانت تعمل الخبائث ، إنهم كانوا قوم سوء فاسقين . وأدخلناه فى رحمتنا إنه من الصالحين ﴾(1) .

فهو نبى معصوم ، وهو بنص القرآن الكريم حبيب الله داخل فى رحمته ، وذو صلاح وحكمة وعلم .

ومعاذ الله أن يتردى أحد أنبيائه فى تلك الفحشاء التى وصم اليهود بها لوطاً عليه السلام .

٢ — كذلك افترى اليهود على داود عليه السلام أنه اغتصب زوجة جندى من جنوده ، فزنى بها ، واستولدها ابنه سليمان .

وكأنما يأبى الإفك اليهودى إلا أن يكون مضاعفاً ، فلوط زنى بابنتيه ، وداود زنى وكان ابنه من الزنا نبياً فيما بعد .

ذكر أن داود أرسل قائده يؤاب فى جيش ، وكان من جنوده

---

(١) سورة : الأنبياء ٦٩ — ٧٥ نافلة : عطية زائدة على طلبه لأنه كان طلب ولدا من زوجته سارة فأعطاها الله إسحاق وأعطاه ابنا لإسحاق وهو يعقوب .

رجل اسمه أوريا ، وأقام داود فى أورشليم وفى المساء مشى على سطح بيته ، فرأى امرأة تستحم ، من طمثها ، وكانت جميلة ، فأرسل إليها وضاجعها .

ولما حان موعد طمثها لم تحض، فأدركت أنها حملت من داود ، لأن زوجها فى المعركة بعيداً عنها ، فأرسلت إلى داود وقالت إننى حبلى ، فبعث إلى قائده يؤاب ليرسل إليه أوريا ، فأرسله ، فسأله داود عن القائد وعن الحرب ، وأمره أن يذهب إلى بيته ، فرفض ونام على باب داود مع عبيده .

ويمضى الافتراء إلى أن يقول : وفى الصباح بعث داود إلى يؤاب رسالة مع أوريا يقول فيها : اجعلوا أوريا فى وجه الحرب الشديدة ، وارجعوا من ورائه ليقتل .

ففعل يؤاب ما أمره به داود ، فدفع أوريا وجماعة معه إلى سور المدينة ، وتقهقر عنهم يؤاب ومن معه ، فقتلوا جميعاً ، وأرسل يؤاب إلى داود يخبره بما فعل .

فلما علمت زوجة أوريا أن بعلها مات ندبته ، وحينما انتهت المناحة ضمها داود إلى بيته ، فصارت له زوجة ، وولدت له ابنا هو سليمان ، ولكن الرب أحبه[١] .

وحسبنا من التعليق على هذا الافتراء أنه يصور نبياً يزنى ،

---

(١) سفر صموئيل الثانى ٢/١١ – ٢٦ و ٢٤/١٢ .

ويدبر قتل جندى برىء من جنوده ، وأن ابنه من الزنا يصير نبياً من بعــده .

ومعاذ الله أن يصطفى أنبياءه على هذه الصورة . فإذا مارجعنا إلى القرآن الكريم وجدناه يذكر داود بما يذكر به أنبياء الله من إعزاز وتكريم وثناء ، قال تعالى: ﴿ولقد آتينا داود وسليمان علما ، وقالا : الحمد لله الذى فضلنا على كثير من عباده المؤمنين﴾[1] .

وقال سبحانه : ﴿أصبر على مايقولون ، واذكر عبدنا داود ذا الأيد إنه أواب . إنا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشى والإشراق ، والطير محشورة كل له أواب . وشددنا ملكه ، وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب﴾[2] .

وهذا هو التصوير الذى يستحقه نبى كريم .

٣ - ويدعون أن رواببن الابن البكر ليعقوب زنى بزوجة أبيه وأم أخويه المسماة بلهة ، وأن هذه الفعلة ذاعت حتى بلغت سمع يعقوب[3] .

٤ - ويزعمون أن ابن داود زنى بأخته فى قصة ملخصها أن

---

(١) سورة : النمل ١٥ .

(٢) سورة : ص ١٧ - ٢٠ الأيد : القوة والصلابة فى الدين ، أواب : كثير الرجوع إلى ربه . كل له أواب : كلها خاضعة لمشيئة الله تعالى .

(٣) سفر التكوين ٣٥/٣٢ .

أبشالوم بن داود كانت له أخت جميلة اسمها ثامار ، فأحبها أخ لها من أبيها اسمه أمنون ، فأسقمه حبها ، وتعذر عليه أن يقربها لأنها عذراء ، وكان له صديق من أبناء عمه ذو حيلة ، فأشار على أمنون أن يرقد على سريره ويتمارض ، فإذا جاء أبوه ليعوده قال له : أريد أن تأتى أختى ثاما لتطعمنى من طعام تطهوه بيدها أمامى .

فأمرها أبوها أن تصنع ما طلبه أمنون ، فذهبت إلى بيته ، وصنعت الطعام ، فأبى أن يأكل ، وقال : أخرجوا كل من هنا ، ثم قال لثامار : أحضرى الطعام إلى المخدع لآكل من يدك ، فلما قدمته إليها أمسكها ، وقال لها تعالى اضطجعى معى ياأختى ، فقالت : لا ياأخى ، لا تذلنى ، فلم يستمع لها ، بل قهرها وتمكن منها ، ثم أبغضها بغضة شديدة ، وقال لها : قومى انطلقى ، فغاظها طرده إياها أشد من غيظها مما فعل بها .

ثم قال لها أخوها أبشالوم وهى تصرخ : هل كان معك أخوك أمنون ؟ عليك الآن أن تسكتى ، ولا تحزنى ، ولم يكلم أخاه بشىء .

ولما سمع الملك داود بما حدث اغتاظ جداً[1] .

ويتضح من هذه الأكذوبة أن أمنون بن داود زنى بأخته ، وأن أخته غضبت من طرده إياها أشد من غضبها لما ارتكب معها . وأن أخاه وأخاها أبشالوم لم يقل قولا ولا يصنع شيئا ، ثم أن أباها داود اكتفى بغيظ حبسه فى نفسه .

---

(١) سفر صموئيل الثانى ١٣/١ — ٢١ .

٣ - الغــــواية :

كذلك سكبوا سخائم نفوسهم على قراطيس أخرى ، فجرحوا عصمة الأنبياء .

فزعموا مثلاً أن سليمان عليه السلام أحب كثيراً من النساء مع بنت فرعون ، وهن جميعاً من الشعوب التى نهى الرب بنى إسرائيل عن مخالطتها وعن مصاهرتها ، لئلا يجتذبوا بنى إسرائيل إلى آلهتهم .

لكن سليمان شغف بهؤلاء النسوة ، حتى كان له سبع مائة من الحرائر ، وثلاث مائة من السرارى ، فأملن قلبه إلى آلهتهن ، وصار غير خالص للرب كما كان قلب أبيه داود خالصاً ، فارتكب سليمان الشر ، وعصى ربه إله إسرائيل فغضب عليه(١) .

يا للعجب !

سليمان النبى عصى ربه ، فتزوج ممن نهاه ربه عن الزواج منهن . ثم تملكن قلبه فانصرف عن حب الله .

ثم أشرك مع ربه الذى اصطفاه وبعثه نبياً آلهة أخرى ، فغضب ربه عليه ..

فكيف أساغت عقول القوم هذا البهتان ؟

إن القرآن الكريم يثنى على سليمان فى قوله تعالى : ﴿ووهبنا

---

(١) سفر الملوك ١١/١ - ١٠ .

لداود سليمان ، نعم العبد إنه أواب ﴾[1] وفى قوله سبحانه : ﴿ ولقد آتينا داود وسليمان علما ، وقالا : الحمد لله الذى فضلنا على كثير من عباده المؤمنين ﴾[2] وفى قوله سبحانه فى شأن داود وسليمان : ﴿ وكلا آتينا حكماً وعلما ﴾[3] .

٤ - السرقة :

افتروا أن موسى عليه السلام سرق بأمر من الله ، لأنه أوصاه وبنى إسرائيل أن يسرقوا ذهب المصريين وفضتهم ، وأن يفروا بما سرقوا ، ورسم لهم الوسيلة ، وهى أن تستعير كل امرأة إسرائيلية من جارتها المصرية حليا من ذهب ، وحلياً من فضة ، وثيابا ، وتلبسها بنيها وبناتها ، ثم يمضى بنو إسرائيل من مصر ، وقد سلبوا أبناءها ماأمرهم الله بسلبه[4] .

وقد فعل بنو إسرائيل ماأمرهم به ربهم ، فسلبوا المصريين[5] .

ياله من افتراء على الله وعلى رسوله .

إن الله سبحانه وتعالى حرم السرقة فى جميع شرائعه ، لأنه خيانة وخسة وعدوان ، فكيف أمر بها بنى إسرائيل ؟

---

(١) سورة : ص ٣٠ .
(٢) سورة : النمل ١٥ .
(٣) سورة : الأنبياء ٧٩ .
(٤) سفر الخروج ٣/٢١ - ٢٢ .
(٥) سفر الخروج ١٢/٣٥ .

قال تعالى : ﴿والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما ، جزاء بما كسبا نكالا من الله ، والله عزيز حكيم﴾[١] .

٥ - الخمـــــر :

كذلك نسبوا إلى الأنبياء شرب الخمر ، وأنهم سكروا ، وارتكبوا فاحشة .

١ - وقد سبق زعمهم أن ابنتى لوط عليه السلام سقتاه خمرا ، فلما ثمل ضاجعهما ، وولدتا له ولدين ، ما زال نسلهما إلى اليوم .

٢ - وزعموا أن نوحاً عليه السلام شرب الخمر ، فظهرت عورته ، فلما رآه ابنه حام سخر منه ، وحينما أفاق نوح دعا على ذرية حام وهم الكنعانيون أن يكونوا عبيداً لأبناء ولديه الآخرين « ابتدأ نوح يكون فلاحا ، وغرس كرما ، وشرب من الخمر ، فسكر وتعرى داخل خبائه ، فأبصر حام أبو كنعان عورة أبيه ، وأخبر أخويه ، فأخذ سام ويافث الرداء ، ووضعاه على أكتافهما ، ومشيا إلى الوراء ، وسترا عورة أبيهما ، ووجهاهما إلى الوراء ، فلم يبصرا عورة أبيهما . فلما استيقظ نوح من خمره علم ما فعل به ابنه الصغير ، فقال : ملعون كنعان ، عبد العبيد يكون لإخوته ، وليكن كنعان عبداً لهم »[٢] .

---

(١) سورة : المائدة ٣٨ .

(٢) سفر التكوين ٩/٢٠ - ٢٧ .

أليس فى هذه الفرية محاولة سخيفة لتسويغ التفرقة العنصرية والمفاضلة بين ألوان البشر ؟

وإذا كان نوح قد غضب من ابنه حام فما ذنب ذراريه ليدعو عليهم بالعبودية وسواد الألوان ؟

وماذا اقترفوا من إثم ليستجيب الله دعاء نوح أن يكون ذرارى حام عبيداً لأبناء عمومتهم وسود الألوان ؟

وكيف استجاب الله سبحانه وتعالى دعوة متجنية وهو الحكيم العادل ؟

فلنقرأ قوله تعالى : ﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾[١] ، وقوله سبحانه : ﴿إن الله لا يظلم مثقال ذرة ، وإن تك حسنة يضاعفها ، ويؤت من لدنه أجراً عظيماً﴾[٢] ، وقوله عز وجل : ﴿من عمل صالحاً فلنفسه ، ومن أساء فعليها ، وما ربك بظلام للعبيد﴾[٣] .

---

(١) سورة : الأنعام ١٦٤ .
(٢) سورة : النساء ٤٠ .
(٣) سورة : فصلت ٤٦ .

(ثالثاً)
لون آخـر من أكاذيبهم

لليهود أكاذيب كثيرة ، كل منها يؤكد أنهم حرفوا فى التوراة وأسفارها ، وحذفوا وأضافوا .

١ - جاء فى سفر التثنية أن موسى عليه السلام مات فى أرض موآب حسب قول الرب ، ودفنه فى الوادى بأرض موآب مقابل بين فاغور ، ولم يعرف إنسان قبره حتى اليوم ، وكان عمره مائة وعشرين عاما عند موته ، ولم تكل عينه ، ولم تذهب نضارته[1] .

فكيف جاء ذكر موت موسى ودفنه فى سفر من أسفار التوراة المنزلة على موسى بعد أن مات ودفن ؟ أليس هذا الخبر دليلاً قاطعاً على أنه من كلام اليهود وليس من كلام الله الذى أوحاه إلى موسى ؟

٢ - وجاء فى سفر التكوين أن الحية تزحف وتأكل التراب عقاباً لها ، لأنها هى التى حرضت حواء على الأكل من شجرة المعرفة ، والعداوة بين الحية والبشر دائمة[2] . فأية خرافة هذه ؟

٣ - وجاء فيه أن المرأة تتألم حين الوضع ، لأنها خالفت هى

---

(١) سفر التثنية ٣٤/٥ - ٧ .

(٢) سفر التكوين ٣/١ - ١٥ .

وزوجها أمر الله تعالى ، فأكلا من شجرة خاصة بالجنة[١] . وهذه خرافة أخرى تنسب آلام الوضع وهى طبيعية إلى ذنب لم ترتكبه الحامل ، ومن الخير أن الخرافة نسيت أو تناست الرجل .

٤ — وجاء فيه أن لغات البشر تعددت ، لأنهم بعد طوفان نوح ارتحلوا شرقاً وبنوا مدينة وبرجا ، فنظر الرب ، ورآهم ، فقال إنهم شعب واحد ولسان واحد ، يستطيعون أن يعملوا أى شيء يريدون ، فبلبل ألسنتهم حتى لا يفهم بعضهم بعضا ، وشتتهم فى الأرض ، ولهذا سمى مكان البرج بابل[٢] .

فأى كفر هذا ؟

وأى رب هذا الذى ينتقم من عباده أنهم متحدون جنساً ولغة ووطناً ؟

وأى رب هدا الذى يخاف من عباده أن يتحدوا فيعملوا ما يريدون ؟

إنها فرية يهودية تنضح بما وقر فى نفوسهم منذ زمن بعيد من الوقيعة والدس بين الأمم ، وإشعال نار الحروب بين الشعوب ، ليضعفوا ضعفا يمكن لليهود أن يعيشوا بينهم مسيطرين على اقتصادهم ، مبتزين لثرواتهم ، منافقين هؤلاء وهؤلاء .

---

(١) سفر التكوين ١٦/٣ .

(٢) سفر التكوين ١/١١ — ٩ .

وشتان ما بين فرية اليهود هذه وبين قوله تعالى : ﴿ يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى ، وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾[1] .

وقوله سبحانه: ﴿ واذكروا نعمة الله عليكم ، إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم ، فأصبحتم بنعمته إخوانا ، وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها ﴾[2] .

وقوله تعالى : ﴿ ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم ﴾[3] .

وقوله سبحانه : ﴿ ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ﴾[4] .

وقوله عز وجل : ﴿ ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ، ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم ﴾[5] .

أما بعـــد :

فقد صدق القرآن الكريم ، وكذب اليهود .

---

(١) سورة : الحجرات ١٣ .
(٢) سورة : آل عمران ١٠٣ .
(٣) سورة : الروم ٢٢ .
(٤) سورة : المائدة ٤٨ .
(٥) سورة : هود ١١٨ — ١١٩ .

أما بعـــد :

فهذه لمحات إلى أباطيل اليهود التى دونوها فى أسفارهم ، تكشف عما بها من زيف ، وتدلل على ما فيها من بهتان ، وتوضح ما تضمنته من جرأة عمياء على الله سبحانه وتعالى وعلى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام .

وأن ضلالهم المبين فى تصورهم لله سبحانه وتعالى وفى وصفهم له بما يتنزه عنه لدليل على سوء طواياهم ، وخبث نواياهم ، وفساد أخلاقهم ، وكلفهم بالرذائل والتخريب ، لأنهم منحوا من أغوارهم النتنة ، فتكشفت نفوسهم فيما حبروا وسطروا وافتروا على الله .

كذلك جاء افتراؤهم على الأنبياء -وهم صفوة خلق الله ، والسفرة بشرائعه- صوراً مما وقر فى أعماق نفوسهم من خبث وشر وأثرة وحقد وخسة وقسوة وكلف بالموبقات .

ولقد صدق القرآن الكريم فى جميع ما وصفهم به ، مثل الكذب فى قوله تعالى : ﴿من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه ويقولون سمعنا وعصينا﴾(١) وقوله سبحانه : ﴿ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون﴾(٢) .

---

(١) سورة : النساء ٤٦ .

(٢) سورة : البقرة ٤٢ .

ومثل تعلقه بالمادية المسيطرة فى قوله تعالى : ﴿ وإذ واعدنا موسى أربعين ليلة ، ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون ﴾[١] ، وفى قوله سبحانه : ﴿ وإذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة ، فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون ﴾[٢] ، ومثل تكذيبهم الأنبياء وقتل بعضهم فى قوله تعالى : ﴿ أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ، ففريقاً كذبتم ، وفريقاً تقتلون ﴾[٣] .

وإذا كان اليهود كذبوا على الله وعلى أنبيائه ، فإنهم قد كذبوا على التاريخ إيضاً ، وخلطوا فى كثير من أحداثه ووقائعه ، كما كشف عن هذا كثير من الباحثين .

ومن اليسير تعليل هذه الأكاذيب ، فهم بطبائعهم أصحاب أكاذيب ، وهم اعتمدوا فيما دونوه بأسفارهم على روايات شفوية لم يسجلوها إلا بعد مئات من السنين ، بل إنهم وثقوا بالروايات الشفهية أعظم من ثقتهم بالمدون المكتوب .

وهذه ألوان من مفترياتهم استمددتها من أسفارهم التى دونوها ، وهى براهين قاطعة على الافتراء ، لا يرقى إليها جدل ولا مراء .

---

(١) سورة : البقرة ٥١ .

(٢) سورة : النقرة ٥٥ .

(٣) سورة : البقرة ٨٧ .

ولعل فى إدراك الناس لها مايزيدهم بصرا بالحق ، وحذرا من اليهود ، ومعرفة بشرورهم المبيتة ونفسياتهم الأثرة الحانقة على البشر جميعاً ، المبغضة لهم جميعاً .

□○□

ما معـــنى ..
وأورثـنـاهــا بنى إسرائيـــل ؟
جاء هذا التعبير فى ثلاث آيات من القرآن الكريم:

« الآية الأولى »

١ - جاء فى القرآن الكريم فيما قص من أنباء بنى إسرائيل فى مصر أنهم خرجوا من مصر يتقدمهم موسى عليه السلام ، متجهين إلى الشرق ، امتثالا لقوله تعالى : ﴿ ولقد أوحينا إلى موسى أن أسر بعبادى فاضرب لهم طريقاً فى البحر يبسا ، لا تخاف دركاً ولا تخشى ﴾[1] .

فلما ضرب موسى البحر الأحمر أو خليجاً منه انفلق ، وعبر بنو إسرائيل من الشاطىء الغربى إلى الشاطىء الشرقى ، وكان فرعون وجنوده من ورائهم فرأى طريقاً يبساً فى البحر وبنو إسرائيل أمامه يسيرون على اليبس ، فتبعهم فرعون وجيشه ، فلما اجتاز بنو إسرائيل البحر كان فرعون وجيشه وسطه فانطبق البحر عليهم فغرقوا .

وكان من نتائج هذا الغرق أن فرعون وجنوده تركوا جنات مصر وعيونها وكنوزها ونعمها وثرائها ومكانتها العالية ، قال تعالى :

---

(١) سورة : طه ٧٧ .

﴿ وأوحينا إلى موسى أن أسر بعبادى إنكم متبعون . فأرسل فرعون فى المدائن حاشرين . إن هؤلاء لشرذمة قليلون ، وإنهم لنا لغائظون ، وإنا لجميع حاذرون ، فأخرجناهم من جنات وعيون ، وكنوز ومقام كريم ، كذلك وأورثناها بنى إسرائيل فأتبعوهم مشرقين ، فلما تراءى الجمعان قال أصحاب موسى إنا لمدركون . قال كلا إن معى ربى سيهدين . فأوحينا إلى موسى أن أضرب بعصاك البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم . وأزلفنا ثم الآخرين وأنجينا موسى ومن معه أجمعين . ثم أغرقنا الآخرين ﴾(١) .

٢ — فما معنى هذه الوراثة ؟

يحسن أن أعرض ما جاء فى بعض كتب التفسير ، ثم أعقب عليها بما أختار :

ذكر الطبرى أن الله تعالى أورث تلك الجنات والعيون والكنوز والمقام الكريم بنى إسرائيل(٢) .

ولم يذكر الزمخشرى ولا النيسابورى معنى هذه الوراثة(٣) .

أما ابن كثير فقال(٤) : إن فرعون وقومه خرجوا من هذا النعيم

---

(١) سورة : الشعراء ٥٢ — ٦٦ .

(٢) تفسير الطبرى ١٩/ ٤٩ .

(٣) الكشاف ٣/١١٥ والنيسابورى على هامش الطبرى ١٩/٥٦ .

(٤) تفسير ابن كثير ٣/٣٣٦..

إلى الجحيم ، وتركوا تلك المنازل العالية والبساتين والأنهار والأموال والملك والجاه لبنى إسرائيل ، كما قال تعالى : ﴿ وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها التى باركنا فيها ﴾[١] وكما قال : ﴿ ونريد أن نمن على الذين استضعفوا فى الأرض ونجعلهم أئمة ، ونجعلهم الوارثين ﴾[٢] .

٣ - وعجيب أن يخطر هذا الفهم على خاطر مفسر أو مؤرخ ؛ لأن القرآن الكريم نفسه ، ولأن التاريخ على اختلاف كتابه ومدونيه يقرر أن بنى إسرائيل هربوا من مصر ولم يعودوا إليها ، فكيف حدثت هذه الوراثة المزعومة ؟

□ □ لقد فر بنو إسرائيل من مصر ، وقضوا فى صحراء سيناء أربعين سنة ، ثم استقروا بفلسطين ، قال تعالى : ﴿ وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم رغدا ، وادخلوا الباب سجدا ، وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم وسنزيد المحسنين ﴾[٣] وقال سبحانه : ﴿ وإذ قيل لهم اسكنوا هذه القرية وكلوا منها حيث شئتم وقولوا حطة ، وادخلوا الباب سجدا نغفر لكم خطيئاتكم سنزيد المحسنين ﴾[٤] .

وإذاً فما المعنى الصحيح لقوله تعالى : ﴿وأورثناها بنى إسرائل﴾ ؟

---

(١) سورة : الأعراف ١٣٧

(٢) سورة : القصص ٥ .

(٣) سورة : البقرة ٥٨ .

(٤) سورة : الأعراف ١٦١ .

المعنى الصحيح هو أن الله سبحانه وتعالى عوض بنى إسرائيل عن الخيرات التى حرموها فى مصر بخروجهم منها خيرات أخرى مماثلة لها فى فلسطين فهى بلاد ذات جنات وعيون وزروع وثمار ومقام كريم مثل مصر فكأنهم لم يزايلوا مصر ولم يحرموا خيراتها التى أحبوها .

« الآية الثانية »

١ — قال تعالى : ﴿ فانتقمنا منهم فأغرقناهم فى اليم بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين . وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها التى باركنا فيها ، وتمت كلمة ربك الحسنى على بنى إسرائيل بما صبروا ، ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون . وجاوزنا ببنى إسرائيل البحر فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم ، قالوا : ياموسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة ، قال : إنكم قوم تجهلون . إن هؤلاء متبر ماهم فيه وباطل ما كانوا يعملون . قال : أغير الله أبغيكم إلها وهو فضلكم على العالمين ﴾(١) .

٢ — فماذا قال المفسرون فى معنى الوراثة هنا ؟

قال الطبرى : لما نكث المصريون عهودهم انتصرنا منهم بإحلال نقمتنا بهم ، فأغرقناهم فى البحر ، لأنهم كذبوا حججنا وغفلوا عنها وعن النقمة التى أحللناها بهم .

---

(١) سورة : الأعراف ١٣٦ — ١٤٠ .

وأورثنا القوم الذين كان فرعون وقومه يستضعفونهم ، فيذبحون أبناءهم ويستحيون نساءهم ويسخرونهم ويستعبدونهم -وهم من بنى إسرائيل- أورثناهم الشام التى باركنا فيها وجعلنا فيها الخير ثابتاً دائماً .

وإنما قال جل ثناؤه (أورثنا) : لأنه أورث ذلك بنى إسرائيل بمهلك كان فى الشام من العمالقة ، وذكر الطبرى أنه نقل المراد بمشارق الأرض عن الحسن البصرى وقتادة ، وقال : أما الزعم بأن الأصل (فى مشارق الأرض ومغاربها) وأن مفعول أورثنا هو (التى باركنا فيها) فلا معنى له ، لأن بنى إسرائيل لم يكن يستضعفهم أيام فرعون غير فرعون وقومه .

وقال : إن كلمة الحسنى هو قوله تعالى : ﴿ونريد أن نمن على الذين استضعفوا فى الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين . ونمكن لهم فى الأرض ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون﴾[1] ثم انتقل إلى تفسير ما حدث بعد مجاوزة البحر[2] .

أما الزمخشرى فذكر أن المراد بالأرض أرض مصر والشام ، لأن بنى إسرائيل ملكوها بعد الفراعنة والعمالقة ، وتصرفوا كيف شاءوا بها[3] .

---

(١) سورة : سورة القصص ٦ .

(٢) تفسير الطبرى ٩/ ٣٠ .

(٣) الكشـاف ٧٨/٢ .

وذكر النيسابورى مثل هذا وزاد عليه أنه قيل أن المراد جملة الأرض ، لأن بعض بنى إسرائيل ملكوا جملتها كداود وسليمان[١] .

وأما ابن كثير فذكر أن الأرض المقصودة هى الشام ، كما قال الحسن البصرى وقتادة [٢] .

٣ - من السهل إبطال ما قاله الزمخشرى والنيسابورى أن المقصود أرض مصر لأن بنى إسرائيل لم يعودوا إلى مصر بعد خروجهم منها ، كما سبق .

والصحيح ما قاله الطبرى وابن كثير ، لأن بنى إسرائيل هربوا من مصر ، ثم بعد أربعين سنة نزلوا بفلسطين فخلفوا بها أناساً آخرين .

« الآية الثالثة »

١ - قال تعالى : ﴿ فأسر بعبادى ليلا إنكم متبعون . واترك البحر رهوا إنهم جند مغرقون . كم تركوا من جنات وعيون ، وزروع ومقام كريم ، ونعمة كانوا فيها فاكهين . كذلك وأورثناها قوماً آخرين[٣] .

٢ - اتفق الزمخشرى وابن كثير والطبرى فى أحد قوليه على أن

---

(١) النيسابورى على هامش الطبرى ٩/٢٢ .
(٢) تفسير ابن كثير ٢/٢٤٢ .
(٣) سورة : الدخان ٢٣ - ٢٨ .

بنى إسرائيل هم الذيم ورثوا نعم مصر وخيراتها بعد غرق فرعون وجنوده ، ولم يذكر النيسابورى شيئاً .

والصحيح ماذكره الطبرى أولاً وهو أن الوارثين قوم آخرون لم يعينهم[1] .

وبعـــد ..

فقد تبين أن بنى إسرائيل لم يرثوا فرعون وقومه ، لأنهم بعد خروجهم من مصر لم يرجعوا إليها .

ولو أن المفسرين كانوا على صلة وثيقة بالتاريخ لنجوا من هذا الخلط . فهل آن الوقت الذى نعكف فيه على تراثنا النفيس لننقيه من الأساطير والإسرائيليات والترهات ؟

نعم وماذلك ببعيد ولا هو بعسير .

---

(١) تفسير الطبرى ٧٤/٢٥ والزمخشرى ٤٣٢/٣ والنيسابورى ٧٨/٢٥ ، وابن كثير ١٤/٤ .

فهـــرس

رقم الإيداع ٧٢١٣ لسنة ١٩٨٨